أدب الثورة





بقلم
الدكتور محمد غلاب



٦

كتب للجميع



سكودا

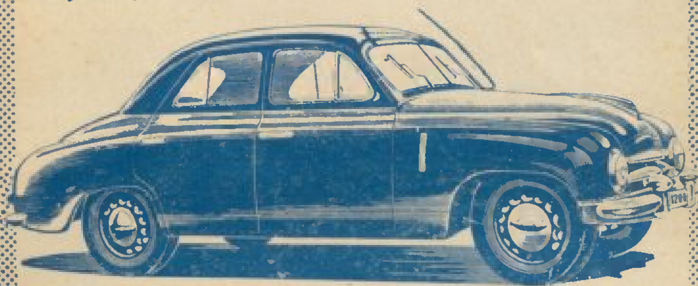
١٩٥٣

ابتكار كامل
فى فن صناعة
السيارات
الحديثة

انك تريد شراء سيارة
فلا تتردد

سكودا..

تضمن لك
الوفر الملحوظ
الصيانة بأقل التكاليف
الأمان فى الطريق
الراحة فى الركوب والقيادة



سوچينا

القاهرة: شارع عدلى باشا ت ٢-٥٧٧
اسكندرية: ٥٥ شارع فؤاد ت ٢٣٤١٥

الوكلاء الفرعيون:
المنصورة: سعد وزكريا مصطفى: شارع اسماعيل ت ٣٣٨٦
الفيوم: سامى ميخائيل وشركاه: شارع مدرسة البنات
الاسماعيلية. المنيادى وشركاه - طنطا: شارع البحر

أدب الموت

للدكتور محمد غلاب

جميع الحقوق محفوظة



٨ شارع ضريح سعد بالقاهرة

طبع بمطابع جريدة «المصرى»

مقدمة

تواضع مؤرخو الحركة الادبية في اوروبا على وضع اسم المدرسة الرومانتيكية لطائفة من الكتاب الذين ترتبط منتجاتهم بالنهضة الكبرى التي نشأت في فجر الثورة الفرنسية ، فكانت كأنها احدى نتائجها المباشرة ، والتي كانت تهدف الى احداث تجديد جدي في الادب والفن ، والتي ظهرت في مختلف الاصقاع الاوروبية في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي اوائل القرن التاسع عشر ، وكان تأثيرها على الاخص واضحا في الشعر وفي الروايات والمسرحيات فأحدث فيها تطورا بالغا ، بل انقلابا خطيرا . ولما كان السواد الاعظم في كل امة يتلقى ثقافته عن طريق هذه المنتجات ، فقد كان من الطبيعي ان يحدث هذا التطور تغييرا اساسيا في اخلاق الجماهير وطباعها .

ولا جرم انك ترى من هذا الاطلاق الشامل الواسع النطاق الذي تواضع عليه المؤرخون والنقاد انه لم يوضع لهذه المدرسة تعريف دقيق يحدد موضوعها واهدافها تحديدا جامعا مانعا ، وانما هي حركة واسعة نشأت من رد الفعل الناجم عن المغالاة في اخضاع كل شيء للموازين العقلية كما كانت الحال في النصف الاول من القرن الثامن عشر ،

كانت الثورة الفرنسية - بسبب ما استحدثته من افكار سياسية جديدة ، وانقلابات اجتماعية خطيرة - قد اعدت النفوس اعدادا قويا للتمرد على اغلال الماضي والنشاط في تحطيمها والشعور بالحاجة الى الانفلات منها ، فلم يسعها الا ان تناضل بدافع تنازع البقاء عن الاحتفاظ بحياتها .

والخطوة الاولى فى طريق هذا النضال هى مجاراة الثورة فى الدعوة الى التحرر والانطلاق من كل قيود الماضى بلا استثناء ، والقفز من هذه الدائرة الضيقة الى رحب الحياة البهيجة المستمتعة بنعمة الحرية ، والتصميم على منح الخيال والحساسية مكانا فسيحا فى المنتجات الادبية ، فتضافرت هذه العوامل كلها على التحرر من قواعد الادب القديم وعلى ادراك كل اديب مكانته واحساسه بوجوب ابراز شخصيته فى القصيدة او فى الرواية او فى المسرحية واضحة جلية ، وشعوره بالامتعاض من انكار الذات ، وهجران الشخصية ، ومن الوقوف على الحياد فى منتجاته كأنه لاعلم له بشىء منها كما كانت التقاليد تقضى فى عهد المدرسة الكلاسيكية .

ويتحتم علينا هنا أن نسجل أننا مدينون للكاتب الفرنسى الكبير ، والمحلل النفسى الخطير استاندال Standhals (١) بذلك التعريف الشامل الدقيق الذى وضعه للرومانتيكية والذى وسع نطاقها حتى سمح للنقاد بأن يدخلوا فى اطارها ألوانا من المنتجات الادبية لم تكن تنتظم فى عقدها لولا تعرف استاندال الذى نستطيع أن نجمله فيما يلى :

ان الرومانتيكية هى الفن الذى يقدم الى الشعوب ثمارا أدبية جديرة بأن ترضيها وتروقها فى كل ما يتعلق بتاريخها وتقاليدها وعاداتها وعقائدها ، ولكن فى أوضاعها الراهنة . أما الكلاسيكية فهى تقدم الى هذه الشعوب منتجات خليقة بأن تروق أجدادها الاقدمين ،

---

(١) استاندال هو الاسم الذى اشتهر به فى عالم الادب ، واسمه الحقيقى : «هانرى بيل» وقد ولد فى مدينة جرينويل فى سنة ١٧٨٣ وقد عاش أكثر حياته فى ايتاليا ، وهذا هو سر عدم اشتهاره بالمساهمة فى الحركة الرومانتيكية ، وقد تخصص فى تأليف الروايات النفسية التى تعنى بالخواطر الدفينة فى أعماق القلوب . وأخيرا توفى فى سنة ١٨٤٢

وهو يضيف الى ذلك قوله : وينبغى لاولئك الرومانتيكيين من الشجاعة ليقدموا على ما هم سائرون اليه مثل ما ينبغى للمحاربين ، فلا يصح لهم أن يفكروا فى النقد أو فى الحملات الصحفية كما لا يصح للجنود فى وسط المعمعة التفكير فى المستشفيات ، بينما نرى الكلاسيكى متبصرا حذرا لا يتقدم خطوة قبل أن يوقن بأن لديه من شعر ((هوميروس)) أو من حكم ((شيشيرون)) الفلسفية سندا يؤيده •

فاذا نظرنا الى الرومانتيكى بهذه العين وأدركنا أنه هو الذى يعرف كيف يكون مرآة عصره ، يلبى أحاسيس بيئته وكيف يرسم ميولها ورغباتها ، ويصور احنها وآلامها ، ويسجل فى منتجاته آمالها وأحلامها • اذا نظرنا هذه النظرة الى الرومانتيكى أغضينا عن الزمان والمكان اللذين نشأ فيهما ، وهذا هو الذى فعله استاندال ، فاعتبر ((دانت)) الشاعر الحماسى الايتالى رومانتيكيا رغم أنه سبق الرومانتيكية بخمسة قرون ، وانه كان مفتونا بـ «فيرجيليوس» الشاعر الرومانى الكلاسيكى الى أبعد حدود الفتنة• والسبب الذى حمل استاندال على اعتباره رومانتيكيا هو أن ((دانت)) حينما ألفى أن أمته قد غرقت فى بحر من المحن والاحن بسبب الحروب الداخلية التى اشتعل أوارها بين المدن الايتالية ، وان هذه المحن قد قذفت الى نفوس أفراد الشعب بشدة الخوف من الجحيم لم يسعه الا أن يجعل منتجاته صدى أمينا لاحاسيس بيئته ، فأنشأ فريدته البهية الخالدة المهزلة الالهية La Divine Comedie وهى تحتوى على مقطوعات تعتبر أبعد ما تكون عن الشعر الكلاسيكى عامة ، وشعر فيرجيليوس خاصة ، وذلك مثل عذاب الكونت أوجولان فى الجحيم •

ولم يكتف استاندال بدانت ، بل نظم ((شكسبير)) أيضا فى عقد الرومانتيكية لانه عرف كيف يقدم أولا الى الامة الانجليزية فى أواخر القرن السادس عشر صورة صادقة لتلك الكوارث والمحن التى نزلت

بها عن طريق الحروب الداخلية التى احتدم لهيبها فى ذلك العهد .
ثم ثنى شكسبير برسم لوحة دقيقة لاهل عصره وما تضطرم به قلوبهم من أهواء عنيفة ، وعواطف رقيقة حينا ، وقاسية أحيانا . ولا جرم أن هذه الحروب الطويلة الطاحنة وما تبعها من الفتن والاضطرابات ، ومن أنواع التضحية والانانية ، والوفاء والغدر ، والامانة والخيانة قد أعدت رعايا ((ايليزابيت)) الاولى لتذوق هذا اللون من الفواجع الشكسبيرية ، فطفق الانجليز فى ذلك الزمن يتدافعون الى المسارح ليشاهدوا صور تلك الالام التى طالما أحدقت بهم احداق السوار بالمعصم ، والتى استطاعت ملكتهم العظيمة - بفضل ارادتها الحازمة وطباعها السليمة - أن تمحوها من الحياة العملية ، ولم يبق لها سوى صورها الادبية فى شعر شيكسبير ومسرحياته على النحو الذى مثلنا له .

وعندما أحدثت الثورة الفرنسية ذلك الانقلاب الهائل فى السياسة والاجتماع والاخلاق والتقاليد وأنواع اللذائذ وألوان المسرات ، بادر أدباء الرومانتيكية الاوروبية الى رسم كل هذا فى منتجاتهم وجعله صورا حية تنطق على المسارح وتبدو فى صفحات الكتب واضحة جلية . وليس أدل على ذلك من أن تلقى نظرة فاحصة فى منتجات ((اسكندر دوماس الكبير)) لترى فيها مآسى القصور الملكية مجسمة ناطقة بالآلام والارزاء ، راسمة للفتن والاراجيف ، مصورة للدسائس والمؤامرات ، شاهدة بالمطامع والاهواء ، أو أن تلقى مثل هذه النظرة على مسرحيات :((فيكتور هوجو)) و ((ألفريد دى موسيه)) أو على فرائد ((لامارتين)) وخرائد ((ألفريد دى فينى)) فعند ذلك ستتضح لك صحة ما نقول من تجاوب منتجات الرومانتيكيين مع مشاعر أممهم وأحاسيس بيئاتهم أصدق التجاوب وأشده دقة وأمانة

وكانت الطليعة الحقة لهذه الحركة التجديدية الهائلة هو « جوت » بطريرك الادب الجديد كما يدعوه « ألفريد دى موسيه » أو هو



جـوت

سيد ادباء المانيا على الاطلاق ، كما يسميه فريق من النقـاد المحدثين ولا غرو فقد صور هذا الكاتب الموهوب فى « آلام فرتر » الهوى الانسانى حين ينحـل عقاله ، والالم البشرى فى اعنف احـواله . كما رسـم فى رواية « فاوست » أشـد صور الحياة ظلمة ، واقساها حلوكة وامتلاء بالالم والشر ، والتعاسة والشقاء ولكن « آلام فرتر » بآلامهـا العنيفـة ، ودعايتها الحـارة الى الانتحار - هى التى حملت لواء الرومانتيكيـة ، وبذرت بذورها الاولى دون قصد من مؤلفها ولا اختيار .

على انه لما كان اجماع مؤرخى الادب منعقـدا على ان جوت شخصيا ليس احد الرومانتيكيين قطعا ، بل لم يكن طليعـة من طلائعهم الا برواية « آلام فرتر » وحدها من جهة ، ولم يكن يهدف الى الرومانتيكية البتة من جهة اخرى ، فان من الخطأ ان نفرد له فى هذه الصفحات مكانا نتحدث فيه عن حياته الخاصـة كما فعلنا إزاء غيره من اولئك الزعماء الذين سنتعقب شخصياتهم ونزعاتهم وتصرفاتهم بالبحث والتحليل . وانما سنقتصر هنا على » آلام فرتر « لنقدم اليك عنها صورة امينة بقدر المستطاع ، وهـاك

نشرت هذه الرواية فى المانيا فى سنة ١٧٧٤ فكان اثرها باهرا يأخذ بمجامع القلوب ، ويستهوى جوانح الافئدة ، أما نجاحها فهو اجل من ان يوصف واكبر من ان تتسع له هذه الصفحات الوجيزة .

بيد انه حسبنا ان نقول فى هذا الشأن : انها كانت احدى الروايات الثلاث التى صبغت القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بصبغتها ، وطبعتهما بطابعهما ، وهى : « كلاريس هرلوف » لـ (ريشارد سون) و « هيلوئيز الجديدة » لـ (جان جاك روسو) و « آلام فرتر » لـ (جوت) .

وتمتاز هذه الرواية الاخيرة بأنها طالما استمطرت العبرات من العيون ، واستخرجت التنهدات من القلوب ، وانها حين ظهرت مختتمة بحادث الانتحار المرعب ، حببت هذه الخطة الى الشباب حتى انتحر منهم عدد كبير فى اوروبا فى مبدا ظهورها وان الالمان الى الآن يذهبون الى قبر « جوت » فى كل عام يحمل كل منهم نسخة من هذه الرواية كأنما يحمل الكتاب المقدس فى ايام الاعياد الدينية .

ومن محاسن هذه الرواية ايضا انها تصوير صادق لحياة مؤلفها الخاصة ، وان الاحداث المنسوبة فيها الى « فرتر » قد وقع أكثرها لـ « جوت » نفسه ويجزم بعض الكتاب بأن « جوت » لم يزد على حادثات شبابه الغرامية الا حادثة الانتحار .

ويعتبر « جوت » فى رأى كثير من النقاد اول الكتاب الذين نحوا هذا المنحى الجديد وقد اوحته اليه حادثة انتحار سمع بها بعد افتراقه من حبيبته .

وملخص هذه الرواية الصحيحة التى وقعت ، هو أن « جوت » حين كان طالبا فى مدينة « ويتزلار » وكانت سنه خمسا وعشرين

سـنة ، نزل فى اسرة « بوف »وهى مكونة من اب ماتت زوجته ومن احد عشر طفـو اكبرهم «شـــارلوت بوف » وكانت فى الثامنة عشرة ، وهى فتاة جميلةالوجه ، متناسقة الملامح،جذابة الروح ، خفيفة الظل ، متفائلةكثيرة الابتسام . وفوق ذلك فهى طيبة القلب ذكية الفؤاد،وكانت بعد وفاة امها تقوم على تربية هؤلاء طفال جميعــا ، وكانت مخطوبة لـ « بستينيه »وهـو احد الشبان العاديين . ولما كان جوت مستقيما حميد الاخلاق ، فقد رحب به الخطيبان وانزلاه بينهما منزلة الصديق المحترم ، ثم لم تلبث ايام اقامة « جوت »فى هذه المدينة ان انتهت فغادرها الى بلده . وعلى اثر ذلك الفراق الممض كتب الجزء الاول من رواية « آلام فرتر » التى صور فيهــاحبه الصامت الذى كان ولايزال يشعر به نحو « شارلوت » .وبعد ذلك بقليل سمع بانتحار أحد شبان « ويتزلار » فتأثر بهذا النبأ تأثرا شديدا ثم سرح فيه خياله الخصب حتى خلق منه صوت مأساة فاتنة اضافها الى ماكان قد كتبه من ذكريات حبه لـ « شارلوت » فاكتملت له بذلك تلك الرواية الخالدة فى حوادثها واسلوبها ، وفى سحر بيانها ، وفى طريقتها ، وفى جمال خيالها .

ومن الغريب اللافت للانظار فى هذه الرواية ، أن «جوت»رسم لنا فى القسم الاول منهــا زوج شـــارلوت جذابا طيب القلب ، حميد الاخلاق ، وصوره فى القسم لاخير ثقيل الظل خاضعا لعاطفة الغيرة بهيئة متنطعــة نابية عن الذوق واللياقة ، اما الحقيقــة فان الصورة الاولى هى الصحيحة واما الثانية فقد أوحاها الى جوت زوج سـيدة أخرى كان قــد اتصل بها بعد عودته الى مسقط رأسه ، وكان زوجها غيورا عليها من جوت فضايقته منه هذه الغيرة فصورها فى آلام فرتر .

ومما ينبغى ملاحظته هنا هوان اثر « ريشــارد ســون » الانجليزى على هذه الروايه بارز للعيان ، اذ هى مكتوبة على هيئة

رسائل كما كتبت روايتا «هارلوف» و« هيلوئيزا الجديدة»

تختلف رواية « آلام فرتر »عن حادثتها الواقعية التي لخصناها لك آنفا فى ختامها ، اذ تحدثنا الرواية الخيالية ان » شارلوت » قد تزوجت ، وانها بعد زواجها قد خضعت لعاطفة الغرام، فمنحت حبيبها قبلة ، ثم احست على اثر ذلك بجريمة الخيانة الزوجية فتوارت خجلا من نفسها ، واعتزمت الا ترى « فرتر » بعد الآن ، فلما راى هو هذا المصير السيىء صمم على الانتحار ، وكتب اليها خطابه الشهير الذى اعقبه الموت ، والذى سنترجمه لك هنا نقلا عن كتاب « رسائل الغرام » الفرنسى ، لترى فيه هذه الصورة الفاتنة للحب القابض على زمام الفؤاد بيد من حديد ، وهاك هذه الترجمة :

لقد صممت على ان اموت ياشارلوت ، واننى اكتب هذا الخطاب ولا اثر للخيال فى نفسي ولا سيطرة للتصورات الشعرية على عواطفى .

فى الوقت الذى تتسلمين فيه هذه الرسالة سيكون القبر البارد قد غطى تلك البقية الباقية من عظام ذلك البائس المعذب الذى لم يبق له من لذائذ الحياة الاذكريات تلك اللذة العذبة التى كان يتذوقها حين كان يتحدث اليك .

لقد أمضيت ليلة مزعجة ، ولكنها فى نفس الوقت حسنة ، لانها اكدت عزمى ، وحددت صميمى تحديدا تاما وهو انى اريد ان اموت .

فى اى ذهول ملك على جميع مشاعرى افترقت عنك امس ؟ وكم كان خيال مصيرى محروما اياك وبدون امل فى لقائك يهصر قلبى .

لم اكد اصل الى غرفتى حتى ركعت وهتفت قائلا : ايها الاله . لقد اعفيتنى من التعزية الاخيرة وهى لوعة الدموع

لقد كان الف تصميم والف مشروع يضطرم فى نفسى ، وفجأة

انبثقت فكرة وحيدة ، وهي اني اريد ان اموت ، فتمددت على سريري ، وفى الغد عند استيقاظى كانت هذه الفكرة لاتزال تحتل قلبى وحدها : انى اريد ان اموت .

ليس هذا نوعا من اليأس ياشارلوت ، وانما هو اقتناع احمله فى نفسى وهو انى اريد ان اضحى بحياتى لاجلك .

نعم ياشارلوت .. لماذا لا انصرح بهذه الحقيقة المرة ؟ نحن ثلاثة فيجب ان يموت واحد منا ليستمتع الاثنان الآخران بالحياة وسأكون هذا الراحل .

ايتها العزيزة ، ان فى هذا القلب الممزق منذ زمن بعيد فكرة طالما انزلقت بين جوانبه ، وهى اما ان اقتل زوجك ، او اقتلك او اقتل نفسى ، فليكن هذا الاخير اذن وسأفعله .

حينما تتسلقين الجبل مع زوجك فى احدى امسيات الصيف الجميلة . فكرى فى ، أنا الذى كنت اصعد اليك من الوادى والقى نظرة على قبرى حيث الهواء يداعب الاعشاب فيحنيها فى تموجات ذهبية من انعكاس الاصيل .

لقد كنت هادئا حين بدأت اكتب هذه الرسالة ، اما الآن فاننى ابكى بكاء الطفل بقدر ماتتمثل فى نفسى هذه الاشياء ، اتحسبين انى سأطيعك ، وانى لن اراك الا بعد عيد الميلاد كما تأمرين ؟ كلا ياشارلوت ، اما اليوم واما لا ، فالى الابد ، اما فى يوم عيد الميلاد فستسلمين هذه الورقة بيديك المضطربتين ، وستبللينها بدموعك .

انى اريد ، وانه يجب على ان افعل ، ولكن لشد ما ترزح نفسى تحت هذا التصميم .

تلك هى آخر رسالة من « فرتر » الى حبيبته « شارلوت » وتعتبر اخطر رسالة من نوعها فى القرن الثامن عشر .

هذه لمحة خاطفة عن رواية « آلام فرتر » التى كانت القبس الاول الذى بدا فى وسط حنادس الاضطرابات الفكرية التى احدثها

القرن الثامن عشر بروحه التجريبية المرتابة وأدبه الوضعى الجاف وحربه الشعواء التى اعلنها على العاطفة ، وسهامه الحادة التى سددها صوب الخيال، فلما نشرت هذه الرواية كانت بمثابة نقطة انفجار لرد الفعل الذى ظل ينمو ويتزايد حتى نشأت منه المدرسة الرومانتيكية المفرطة فى العاطفة ، اذ انها لم تكد تظهر فى سنة ١٧٧٤ حتى ترجمت الى كل اللغات الحية اذ ذاك ، ولم يكن تأثيرها ضعيفا ولا متباطئا، اذ لم يمض على ظهورها خمسة عشر عاما حتى بدات بوادر الحركة الرومانتيكية فى انجلترا فى سنة ١٧٨٩ ، وظلت تنمو ويتسع نطاقها الى ان لمع بريقها وسطعت انوارها فى منتجات « بيرون » و « ولتر سكوت » و « شيلى » و « كتس » و « وردورث » و « كلردج » .

ولما كانت سنة الطبيعة قد جرت بأن يتأثر الاجانب بالعبقرى قبل مواطنيه ، فلم تبدا الحركة الرومانتيكية فى المانيا الا بعد ظهورها فى انجلترا بنحو ستة اعوام ، اى فى سنة ١٧٩٥ عن طريق مؤلفات الاخوين ماكير » . وقد ظهرت هذه الحركة وشيلنج وارنيم وبرنتانو وشلير « شليجيل ونوفاليس وفشت فى ايتاليا فى سنة ١٨١٦ فى منتجات « منزونى » الذى تأثر بولتر سكوت .

وأخيرا ظهرت فى فرنسا سنة ١٨٢٠ بصورة هامة تفوق هذه الصور جميعها بروزا وتلألؤا ووفرة فى الانتاج . واعلامها فى تلك البلاد هم أولئك الكتاب والشعراء العالميون الافذاذ : « فكتور هوجو » و « لامرتين » و « ألفريد دى موسيه » و « ألفريد دى فينى » و « الكسندر دوماس الاكبر » و « جتييه » و « نرفال »

ولما كان الفن الرومانتيكى - فيما يرى استاندال ونحن معه فى هذا الرأى - هو ما يدرس العالم الذى يحيا فيه ويعرف كيف يقدم الى معاصريه صورا صادقة ولوحات أمينة لكل ما يحتاجون اليه فى حياتهم العامة من جميع نواحيها مرسومة فى قصائد أو

قصص أو مسرحيات أو روايات، فقد أمكن أن يكون للشرق - كما كان للغرب - رومانتيكيون ، اذأن لنا نحن أيضا ثورات وطنية واجتماعية وادبية كانت نتيجة طبيعية لما تقاسيه مصر من آلام ، وما ترزح تحت نيره من أرزاء ونكبات ، وكانت أصداء أمينة لما يهتف به وجدانها الجماعى منذ سنة ١٨٨٢

ولقد حدث عندنا كذلك أحداث جسام ووقائع عنيفة ، واعتداءات مريرة ، وخيانات مخجلة ، ومؤامرات وضيعة ، ومواقف مشرفة ، وتضحيات سامية، وصور من الاخلاص والوفاء هى من المثل العليا قاب قوسين أو أدنى، ولدينا من الادباء من صوروا لنا كل هذا أو أكثره تصويرا جعل منتجاتهم مرايا صافية يستطيع الشعب أن يرى فيها ميوله ورغباته، وحركاته التحريرية ، ونهضاته الاجتماعية ماثلة للعيان • ولا ريب ان هذا كله خليق بأن يضعهم فى صف الرومانتيكيين الخالدين • وكان على رأسهم محمود سامى البارودى وأمير الشعراء احمد شوقى ،والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى

دكتور محمد غلاب

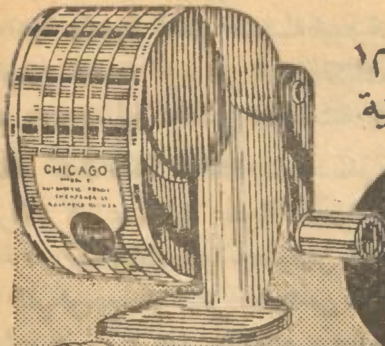
تفتيش توليد الكهرباء من خزان اسوان

« بريد خزان اسوان »

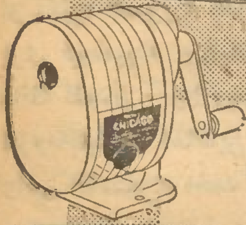
تقبل العطاءات بتفتيش توليد الكهرباء من خزان اسوان « بريد خزان اسوان » برسم حضرة المحترم مفتش رى السد العالى لغاية ظهر يوم ٩٥٣/٧/١٦ عن بناء جراج ومخازن ملحقة به ومخزن بنزين تحت سطح الارض بالبر الشرقى للنيل امام خزان اسوان وتطلب الشروط والمواصفات من التفتيش المذكور على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما مقابل دفع ٢٥٠ مليما و٧٥ مليما اجرة للبريد

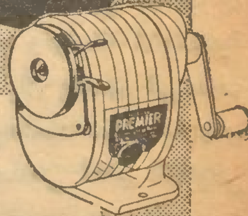
٤٨٥٥

مبراة الأقلام
الأوتوماتيكية





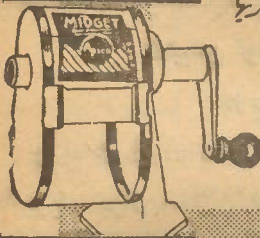


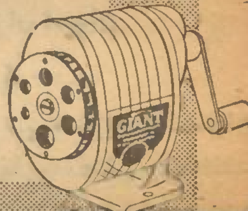


عمرها الطويل ... وانتاجها الأملس المتقن، ليس لهما مثيل. وقد اثبتت التجارب بما لا يدع الشك. ان ابسكو تبرى اكثر من مرتين ونصف من سنون الأقلام التى تبريها أية مبراة أخرى ...

CHICAGO DELUXE
شيكاغو ١١٠ قرشا

PREMIER DELUXE
بريمير ١٩٠ قرشا





MIGHTY MIDGET
ميدجيت ٨٠ قرشا

GIANT DELUXE
جاينت ١٤٠ قرشا

شركة ستاندرد ستيشنرى

القاهرة : ٣٠ شارع عبد الخالق ثروت . ت : ٧٦١١٦/١٧
فرع "ب" ٢ شارع فؤاد الاول
الاسكندرية : ٦ شارع طوسون . تليفون : ٢٤٩٢١

ت ٣٧٩٨٤   ١٢٥ - ١١

شاتوبريان

يستمع بعض من له دراسة وهو كاتب تشبه حياته الشخصية أو الادبية حياة «شاتو بريان» لانها حياة مفعمة بالغرائب والمدهشات التى لانظير لها فى حياة الكتاب الآخرين • ويمتاز تاريخ هذا الكاتب بأنه وصل الينا كاملا غير منقوص لان شاتوبريان كفانا مئونة البحث والتنقيب ، وأعفانا من مهمة التفسير والتأويل اذ كتب بخطه مذكرات أثبت فيها كل خطوة من خطوات حياته ، ولم يغادر كبيرة ولا صغيرة من حوادثه الا احصاها فى صراحة ووضوح وبدقة واتقان يصلان الى حد الاعجاز ، بيد انه ينبغى للمؤرخ المحايد ان يكون قوى التميز ، سليم الذوق ، مستقيم النطق ، دقيق الملاحظة حتى يستطيع ابعاد ماعسى ان يكون الكبرياء او الخيال ادخله فى حياته رغم ارادته وقسر رغبته ، لان بعض خبثاء العصر كانوا يطلقون عليه اسم الكاذب المخلص ، فأما كذبه فقد أتى من انه كان يخالف الواقع احيانا حين يتحدث عن نفسه مدفوعا بالكبرياء اوالخيال • وأما اخلاصه فمنشؤه انه كان لا يتعمد الكذب ولا يرمى اليه •

على ان هناك شواهد ومستندات اخر يستطيع المؤرخ - اذا رجع اليها - ان يهتدى فى حياة هذا الكاتب الى أوثق الاخبار واصدق الانباء . وسنحاول - بقدر المستطاع - استخراج تاريخ شاتو بريان الصحيح من مذكراته الشاملة الفاتنة •

ولد شاتو بريان فى ليلة ليلاء اشتد فيها هوج العواصف ، وعلا صخب الرياح من ليالى سنة ١٧٦٨ فى قصر كومبور العظيم مهد هذه الاسرة العريقة المجد ، البعيدة فى اغوار الماضى نبلا وفخارا وكان والده الكونت دى شاتوبريان من طبقة الاشراف الجانتيوم

وكان يميل الى التمسك بالتقاليد القديمة ، لعز عليه مع اقلاله واحتياجه الى المال ان يترك قصر الاسرة ومحط مجدها الغابر . يتسرب الى ايدى الدائنين اوالمرتهنين ، فافتداه بأكثر ماملكت يداه وظل بعد ذلك فقيرا معدما يعيش فى هذا القصر الذى كان سبب ابتئاسه ، هادىء البال مستريح الضمير يرفرف عليه السكون ويحوطه الهدوء من كل جانب .

اما زوجته فقد ظلت حزينة متشائمة لاتكاد البسمة تجد الى ثغرها سبيلا كما يقول شاتوبريان وكأنها كانت متعهدة توريد الآهات والتنهدات بكمية وافرة .

نشأ شاتو بريان فى هذا القصر المظلم الموحش الذى لا يرى فيه الا والديه وأخته لوسيل وخادمته ، فكان لهذه النشأة المحزونة أثر عميق فى حياته .. قصر عظيم كثير الاجنحة ، متعدد الغرف والردهات متشعب المسالك والطرقات ، مظلم الممرات والمنعرجات ، يخيل الى الجالس فيه من فرط السكون انه يسمع دقات القلوب ونبضات الافئدة ، ويحس قاطنه كأنه فى مقبرة يناجى الاموات ويخاطب اهل الحياة الاخرى .

هذا هو مسقط راس شاتوبريان وممر طفولته ، وهو لذلك ذو أثر بارز فى كتابته ، بل لا يستطيع المؤرخ ان يفهم حياته ومزاجه دون ان يحيط بوصف هذا القصر الرهيب الذى لايقدر على تصوير رهبته ووحشته وظلامه غير شاتو بريان نفسه .

بادر الكونت شاتو بريان الى ادخال ابنه فى مدرسة دينية ، وهو لايزال فى نعومة اظفاره فدرس فيها دراسة عادية ، لا يمتاز فيها بشىء سوى شهرته بين زملائه الصغار ببراعته فى الانشاء ، وتفرد جمله ، وعباراته بالجمال الفائق والحسن الرائع .

وكانت اولى امانى رينيه شاتوريان أن يكون أسقفا أو كاردينالا ولكن الظروف لم توفقه الى نيل هذه الامنية فاقتلعها من نفسه وانعطف الى غيرها من شئون الحياة ، وظل يدرس فى المدرسة نهارا ويستمتع بالجلوس مع اخته والتحدث اليها ليلا ، وقد كتب فى مذكراته ان اعذب ايام حياته على الاطلاق هى التى قضاها الى

جانب هذه الاخت العطوف التى كانت تبدد بحنانها سوداوية مزاج الوالد وتشاؤم الام ، ولولا ضيق المجال لترجمنا لك هنا شيئا من هذه المذكرات الشيقة التى يصور فيها باسلوب فاتن وجمل اخاذة وعبارات ساحرة تلك الليالى العذاب التى قضاها فى قصر كومبور المظلم الى جانب لوسيل شقيقته المحبوبة .

ولما بلغ سن الرجولة التحق بالحرس الملكى ومازال يترقى فى هذا السلك حتى اصبح قائدا مشهورا ، كان اسمه فى اول الامر يقترن باسم نابليون ، ثم التقيا اثناء الثورة التقاء الخصمين العنيدين

وفى أثناء عمله فى حرس الملك لويس السادس عشر لحقته من جلالته كلمة جارحة فنزعت من نفسه الميل الى مرافقته اياه وان كان ظل وفيا مخلصا محتفظا بولائه له حتى النهاية .

ولما انفجر بركان الثورة الفرنسية ايقن شاتو بريان بأن الملك هالك لامحالة ، ولكنه ظل على ولائه الاول له ووفائه القديم الا انه كان اعقل من ان يعرض نفسه للمقصلة فسافر الى امريكا وانقطع فى هذه الدنيا الجديدة عن فرنسا واحداثها وكان ذلك فى سنة ١٧٩١ فكان لهذه الرحلة اثر ضخم على خياله ظهر فى المستقبل فى شعره الرائع ونثره الساحر ، لان ليالى الدنيا الجديدة وسكونها الشامل لاسيما فى البلاد القريبة من الشواطىء أنتجت فى مؤلفاته فكرا قوية تشبه مناخ تلك البلاد وبيئتها ، وهذا شىء طبيعى لان مجرد مرور الخيال بذهن شاتو بريان كاف فى ان يدفعه الى وصف مالا يعرف فى شىء من الدقة لايكاد يختلف عن الحقيقة .

عاد (شاتو بريان) اذن من أمريكا كاتبا عظيما بوساطة ماطرق ذهنه من اخيلة غريبة ، وتصورات عجيبة ، وقد ظلت هذه الاخيلة مستولية على نفسه ، مؤثرة تأثيرا قويا فى جميع مؤلفاته ومقالاته على اختلاف انواعها ، وتباين الوانها . فأسلوبه رصين وجمله قوية ، وتعبيراته فاتنه . وقد رافق هذا الاسلوب كاتبنا طول حياته ، فمثل كتابته على أثر عودته من امريكا كمثلها فى

آخر حياته ، واسلوبه حين كان كاتبا عاديا كأسلوبه حين اصبح احد رجال السياسة فسفيرا ثم وزيرا . ولما هدأت الثورة بعض الشيء وقبض على لويس السادس عشر وزوجته عاد شاتوبريان الى فرنسا فعرف فتاة من أسر الاشراف على جانب عظيم من الثقافة والتهذيب فراقت فى نظره وراق فى نظرها ، وافتتن كل منهما بعقلية صاحبه ففاتحها فى امر الزواج بها فوافقت، ولكن عمها - وكان وصيا على ثروتها الواسعة - عارض فى هذه المصاهرة فجرحت كبرياء - شاتوبريان - وان كان فى نفسه ساخرا من هذا الزواج لايعنيه منه الا رجحان عقلية الفتاة ، لانها لم تكن ممتازة فى غير ذلك بشىء ، فثروتها مهما عظمت لاقيمة لها البتة فى نظر هذا الكاتب الخيالى ، وشكلها الظاهرى لم يكن فتانا الى حد أسر - شاتوبريان - . وقلبه لم يكن خاليا لاستقبال حبها ، لانه كان محتلا بمعبودة روحه ومليكة قلبه التى وضع لها فى لوحة ذهنه منذ الطفولة صورة افلاطونية ونقش لها فوق صفحة خياله رسما ملائكيا ، وملا بها كل نفسه منذ فجر شبابه ، وابتدع لها اسما يشبه اسم معبودة - دانتى - شاعر ايتاليا العظيم الذى تخيل انها حملته بجناحيها النورانيين الى حظيرة مالك السموات والارض وهكذا كان - شاتوبريان - فى كل ايامه التى قضاها مع زوجته يتغنى فى قصائده الشعرية وقطعه النثرية بحب هذا المثل الاعلى المقدس .

ولما صمم هذا العم على رفض زواج ابنة أخيه من -شاتوبريان- عاند الخطيبان واعتزما تنفيذ رغبتهما قسر ارادة هذا العم الشره المتنطع . وبالفعل تم زواجهما دون تدخل اى احد من اقاربها ..

أصيبت ثورة هذه السيدة على اثر اقترانها بشاتوبريان بضربة من ضربات الثورة فأتت عليها جميعها فقابل -شاتوبريان- هذا النبأ بالسخرية كما هى عادته ثم لم يلبث ان اضطرته الظروف السياسية والاجتماعية الى مغادرة فرنسا فى سرعة واستعجال فغادرها الى بلجيكا ثم الى انجلترا وقد ظل بعيدا عن وطنه عشرة

اعوام كاملة لاقى فيها كل صنوف المحن والاحن ، وذاق مرارة الفاقة الى حدانه كان يقتات من الحشائش النابتة فى الحدائق العامة ، ومن الغريب انه لم يؤثر عنه فى هذا العهد كتاب شوق او رسالة حب ولو مجاملة الى زوجته .

ولما عضه الفقر بنابه فكر فى ان يعيش من مهنة تدريس اللغة الفرنسية فى انجلترا فنجح نجاحا باهرا واكتسب من المال ما يكفيه ويقوته ، فنزل على اسرة انجليزية كما ينزل الشاب الاجنبى فى ـ البنسيون ـ عادة وكان لصاحبة ـ البنسيون ـ ابنة فى الخامسة عشرة من عمرها فافتتنت بهذا الشاب العبقرى ، لانها كانت فتاة ممتازة تقرض الشعر ، وتجيد الكتابة النثرية ، ولا يمكن ان تكون فتاة هذا شأنها الا وتغرم بشاتوبريان الذى ترى من سحر بيانه ، وفتنة منتجاته فى كل صباح المعجزات الباهرة .

احبت هذه الفتاة ـ شاتوبريان ـ حبا ساذجا نقيا أساسه الذكاء والعبقرية ، وغايته الزواج والاجتماع الابدى ، لان شاتوبريان لم يكن قد أنبأها بأنه متزوج ، ولكن امها كانت تريد لابنتها زوجا لا حبيبا ، ففاتحته فى امر زواجها فاعترف لها بكل شىء فسقطتا بين براثن اليأس القاتل ، فلم يحتمل منظرهما على هذه الحالة فغادر انجلترا لاعنا نفسه ، لانه سبب الشقاء لهاتين السيدتين البريئتين ، وقبل مغادرته انجلترا تسلم رسالة تنبئه بوفاة امه وتسلم مع هذه الرسالة وصية حارة منها تنبئه فيها من وراء الموت بانها لا تريد منه شيئا أكثر من عودته الى حظيرة الدين التى كان قد خرج منها متمردا على عقيدته وتعاليمه ، فتأثر تأثرا شديدا وعاد بعاطفته الى المسيحية فكتب عنها ما يعلى من شأنها ارضاء لروح أمه • أما عقله فقد ظل لادينيا ، لان المسيحية لاتتفق مع المنطق فى رأيه

ولما استولى ـ نابليون ـ على عرش فرنسا كان «لشاتوبريان» صديق مخلص ، وفى من ذوى الحظوة فى القصر ، فطلب الاذن بعودة صديقه المنفى الى فرنسا فسمح له ـ نابليون ـ بالعودة فى سنة ١٨٠٠ فعاد مرضيا عنه مغفورا له ما تقدم من اثامه السياسية • ولما استقر به المقام فى فرنسا اخذ يتردد على المنتديات الادبية الراقية يسحر المجتمعين فيها بشعره ونثره ، ويملك عليهم انفسهم بخياله الرائع ، وتصويره الفاتن • وفى

احد هذه المنتديات الارستقراطية قدمه احد اصدقائه الى السيدة — بولين — وهى شابة فى مقتبل عمرها ، بارعة الجمال ، طلقة اللسان . ذكية الجنان . واسعة الثقافة . ممتدة الخيال فراقها ادب — شاتوبريان — وفتنتها عقليته الممتازة . فطلبت اليه ان يختلف الى ناديها كلما استطاع الى ذلك سبيلا . ثم اخذ هيامها به يزداد شيئا فشيئا حتى أصبحت لا ترضى منه بغير انفرادها انفرادها به واستقلالها بقلبه ، فتوسلت اليه باسم العواطف الحادة والشعور الملتهب أن يرافقها الى القرى ليقيما معا بضعة أسابيع على انفراد لا يريان أحدا من العذال الذين يصرفون قلبه عنها . ولما كان — شاتوبريان — يشفق عليها من انياب المرض التى كانت تعض صحتها من ناحية ويرى فيها وفاء واخلاصا وثقافة عالية من ناحيه أخرى فقد أجاب سؤلها ورافقها الى الحقول ، فأقام بها الى جانبها ستة شهور كاملة لم تقع أثناءها اعينهما على احد ممن يكدرون صفوهما او ينغصون حياتهما . ولم يكن الغرام هو الذى دفع — شاتوبريان — الى سلوكه هذه الخطة مع السيده — بولين — لان مجده كان قد وصل الى حدان ضربت حوله جميلات العصر وارستقراطياته فى باريس نطاقا من العبادة والتقديس . وغمرنه بموج هائل من الغزل والنسيب والوان الغرام . فكان يستطيع ان يستولى على قلب احدى الاميرات او — المركيزات — ولكن الرحمة هى التى الجأته الى اجابة سؤل — بولين — لاسيما وان المرض قد خلق منها شابة وديعة اشبه شيء بالبلبل الصداح على أفنان دوحات الحدائق الهادئة فى سكون الليل لم يضع — شاتوبريان — فى اللهو والمجون تلك الشهور الستة التى قضاها فى الريف مع — بولين — وانما اشتغل فيها بجد ونشاط فالف كتابه القيم — اتالا — الذى لم يكد يظهر حتى شغف به — نابليون — وبدأ يبحث عن مؤلفه فى جد . فلما عثر عليه فى احدى الحفلات العامة بدأه بالتحية والحديث . ثم حدثه عن هذا الكتاب ولم يخف عنه انه مفتون به للغاية . وبعد زمن وجيز عرض عليه — سكرتيرية — السفارة الفرنسية فى روما ولكن

- بولين - افهمته انه اذا سافر الى روما فانها ستموت فى الحال لان مرض الصدر اوشك ان يأتى على حياتها . فرفض السفر واعتذر لنابليون عن قبول هذه الوظيفة فى اول الامر . ولكنه حين فاوض - بولين - فى السفر معه قبلت اصطحابه الى روما فسافرا معا ثم كتب الى زوجته ان تلحق به بيد انه لم يكد يستقر فى منصبه الجديد حتى غادرت - بولين - الحياة متأثرة بذلك المرض الفتاك الذى كان يأكل فى صدرها منذ حين فحنا عليها فى ساعاتها الاخيرة حنوا فائقا جعلها تشعر بالسعادة التى لاحد لها . ولما انشبت المنيـة اظفارها فى - بولين - كتب شاتوبريان - الى زوجته يستدعيها الى روما فبادرت اليه تحدوها الغبطة ويحوطها السرور . ولكنها لم تكن سعيدة كل السعاده . لان الرسائل التى كانت ترد الى زوجها من السيدة - ديلفين - المغرمة الجديدة بالكاتب العبقرى وردوده عليها كانت تنغصها لانها كانت تتصور انها اخر من يفكر فيها من النساء ولو انها وثقت من قربها من قلبه ولو لم تكن فى الدرجة الاولى لاسعدها ذلك منه كما صرحت بهذا فى رسائلها الى صديقاتها . وبعد زمن عاد - شاتوبريان - الى باريس طلبا للراحة والهدوء . وانه لكذلك اذ حدثت تلك الحادثة السياسية التى قلبت اسلوب حياته الاجتماعية راسا على عقب . وهى ان - نابليون - حكم على احد الدوقات بالاعدام وهو من سلالة الاسرة المالكة التى كان - شاتوبريان - يحبها ويدين لها بالولاء . فلما رأى هذا العسف من جانب - نابليون - سخط عليه وعلى حكومته سخطا شديدا وكان الامبراطور قد اعتزم تقليده منصبا جديدا ارقى من الاول فرفضه وقدم استقالته من وظيفته القديمة فى اسلوب كله شمم واباء . ولم يكتف بهذا . بل وقف قلمه على التشهير بـ - نابليون - والمناداة بانه مجرم فى هذه الحادثة وأخذ يجابهه وجها لوجه وكان سلوك هذه الخطة من جانبه غريبا فى فرنسا فى ذلك الحين . فدهش الناس جميعا من هذه المعاملة النادرة المثال منذ بدء عهد القنصلية الى ذلك الحين . ولكن - شاتوبريان - لم يفكر فى نتائج هذه الخطة التى

هـدمت كل أمله في مستقبله السياسى الذى كان ساطعا متلالئا فانطفأوا ولو الى حين . بيدان - نابليون - كان معه مثال الرحمة والعفو بل مثال التغاضى والصفح فتركه يكتب مايريد . ويشن الغارة كما يشاء واكثر من ذلك انه سوى له معاشه على النحو الممكن الذى يرضيه فهيأ له بهذه الرحمة سبيل مناضلته والوقوف امامه وجها لوجه ورأسا لرأس .

ولما أصبح - شاتوبريان - لا يملك من المال ما يستطيع ان يقيم به فى باريس فقد سافر الى احدى القرى واقام فيها مع زوجته الطيبة القلب تقاسى الى جانبه الوان الالم الناشىء من الضنك والضيق . وفى هذه الاثناء تعلقت به سيده اخرى تدعى - ناتالى - وكانت طويلة القامة . شديدة البياض . سوداء الشعر فاحبته وحلت فى داره محل السيدة ديلفين - وقد استقبلها هو حسب عادته ببشاشة وطلاقة بل بوداعة لدنة تشبه الهوى حتى لقد وصفه معاصروه من اجل هذه المرونة بانه كان متلونا فى الحب لا قلب له ولا عاطفه ولكن هذه التهمة - فيما نرى - غير صحيحة وكل من يدقق النظر فى ظروف - شاتوبريان - وظروف السيدات اللواتى شغفن به يتضح له جليا ان الرجل لم يكن متلونا ولا خداعا .

بينما كان - شاتوبريان - على هذه الحال فى قريته وبين أيدى زوجته وعاشقته الجديدة اذ انقضت عليه صاعقة من الحزن المبرح والاكتئاب القاتل فقلبت كيان حياته رأسا على عقب وهدت قوته وذهبت بمرحه وسروره . تلك الصاعقة هى موت شقيقته المحبوبة التى كانت له كل شىء هام فى هذه الحياة .

تغير وجه العالم اذن فى نظر - شاتوبريان - منذ الان واصبح بعد وفاة اخته - لوسيل - شقيقة الروح ووحيدة الفؤاد ورفيقة الطفولة البريئة وصورة الحب الملائكى . ومثال النقاء والصفاء وروح التضحية والوفاء ... « لوسيل » التى حين وقف - شاتوبريان - فى كفة وكل اسرتها فى كفة . رجحت الاولى على الثانية فى غير تردد ولا ارتباك بل فى سرور وسعادة والتى وقفت

كل حياتها على اسعاده وتحقيق هدوئه وابتسامه للحياة وابتسام الحياة له .

فلما صدع هذا الحادث رأسه والهب مخه وقلب نظام اعصابه وبالاجمال كان هو الاول الذى زعزع رزانته ووقفه موقف الخفة والضعف لم يقو على البقاء فى فرنسا . بل فى اوروبا كلها بعد نزول هذه الكارثة على حياته فارتحل الى ـ أورشليم ـ مارا ببلاد الاغريق ثم بمصر . ولما عاد من هذه الرحلة كتب كتابا شيقا سماه : ـ من باريس الى اورشليم ـ وصف فيه كل البقاع التى مر بها وصفا دقيقا لان الحادثة الاخيرة كانت قد شحذت ذهنه والهبت قريحته .

اخذ ـ شاتوبريان ـ بعد وفاة ـ لوسيل ـ شقيقته ينظر الى كل شىء فى الحياة بمنظار اسود فبدل ان يعد تسامح ـ نابليون ـ معه نبلا ووداعة اعتبره اهانة واحتقارا فاغتاظ من هذا الخيال الذى سكبه التشاؤم الجديد فى رأسه وبدأ ينشر سلسلة مقالات جارحة لا عهد للناس بمثلها فى فرنسا فى ذلك الحين يشبه فيها ـ نابليون ـ بـ ـ نيرون ـ طاغية روما ودكتاتوريا المجرم السفاك .

فلما راى الامبراطور انه خرج على حد المألوف اصدر امرا بنفيه من باريس وكان فى استطاعته ان يصدر امرا بوقوفه تحت المقصلة ولكنه كان معه رحيما الى حد غريب يتنافى مع قسوة ـ نابليون ـ وصلابته ولكن اصدقاء ـ شاتوبريان ـ والمغرمين بادبه قد اعتبروا هذا الامر من ـ نابليون ـ قاسيا اشد القسوة بل عدوه جناية على الادب لا يغتفرها التاريخ مهما طال بها المدى . لان معنى نفى الكاتب من باريس هو القضاء المبرم على حياته الادبية كلها والحيلولة بينه وبين الانتاج النافع المفيد وهذه جريمة لا تعدلها جريمة

ومهما يكن من شىء . فقد غادر ـ شاتوبريان ـ باريس ترافقه زوجته الى احدى القرى الصغيرة وهناك اقاما معا عشرة اعوام كاملة لانه لم يستطع العودة الى باريس الا بعد سقوط ـ نابليون ـ وكانت هذه الاعوام العشرة التى قضاها ـ شاتوبريان ـ

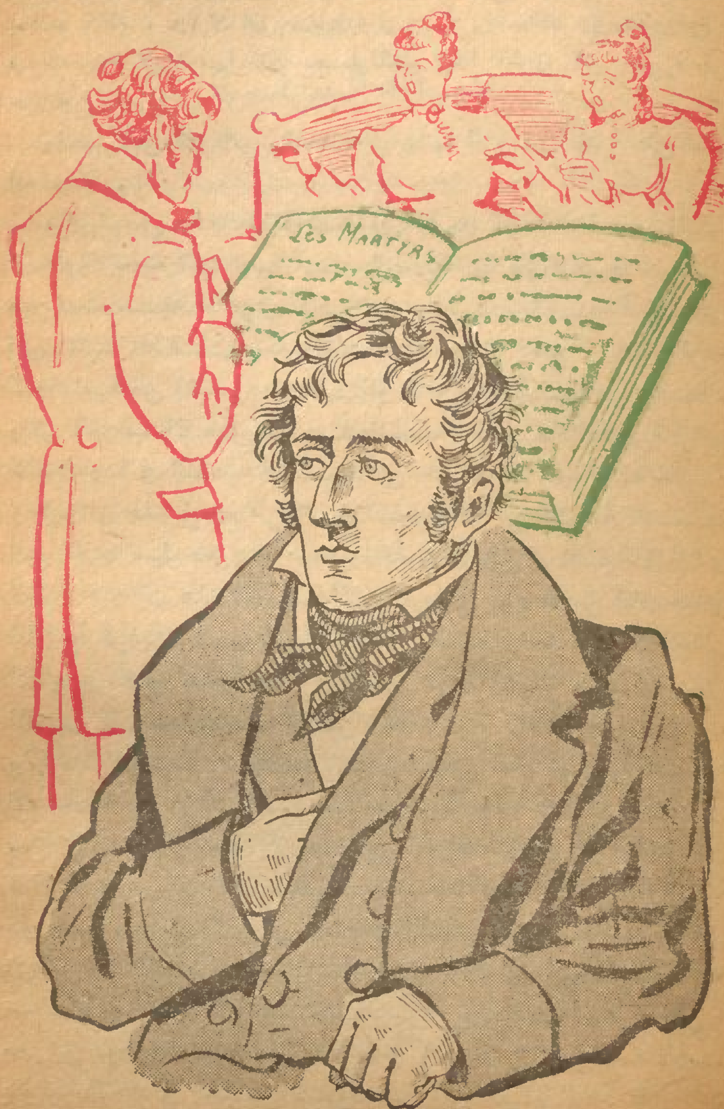
فى المنفى اخصب سنى حياته التأليفية اذ فيها كتب (١) - من باريس الى اورشليم - (٢) - التعذيب - (٣) - مذكرات كاملة لتاريخ حياته - وهو الكتاب الذى قلنا : انه ينبغى الحذر مما فيه لان يدى الخيال والكبرياء قدعبثتا بكثير من انبائه وحوادثه (٤) مؤلفات أخرى ومقالات سياسية كثيرة .

وقبل أن نغادر منفى « شاتوبريان » يجب أن نشير الى السيدة « دى دوراس » التى كانت صاحبة الفضل الاكبر على هذا الكاتب فى اعوام محنته ، وهى سيدة حكيمة رزينة مثقفة واسعة الاطلاع ، غزيرة المعارف قدمت الى شاتوبريان فتوثقت بينهما اواصر الصداقة التى لا تكاد تختلف عن صداقة الرجال فى شىء والتى أجمع مؤرخو الادب ووافقهم شاتوبريان نفسه فى كتبه على أن علاقتهما لم تخط بعد الصداقة خطوة واحدة نحو رجولته أو انوثتها ، ولم تزد مهمتها معه على انها كانت ترشده بنصائحها الغالية ، وتهديه بحكمتها النادرة ، وتقوده الى أسباب العظمة ووسائل الرفعة والمجد ، وانها لم تأل جهدا فى هذا العمل البرىء الذى دفعتها اليه الصداقة وحدها دون أية علة من علل الحياة .

ولكن لما كانت السيدة «ناتالى» لا تزال تتردد على شاتوبريان فى أبهى ضروب الزينة والفتنة ، لتجذب اليها قلبه الذى تعتقد انه أصبح ملكا لمدام دى دوراس الصديقة المتقدمة وان الغيرة كانت تأكل قلبها من أجل هذا التصور فقد أخذت تناضل عدوتها اللدود ، وتتباهى بأنها هى وحدها المعشوقة ، وقد اقتنعت مدام دى دوراس بهذه العقيدة فكتبت فى احدى مذكراتها مايأتى : « الحب لناتالى والصداقة لى »

وقد أخذ بعض المؤرخين هذه الجملة من جانب مدام دى دوراس برهان غيرة من عدوتها « ناتالى » وألم من صديقها شاتوبريان .

أما نحن فنستبعد هذا على مدام دى دوراس ، ونعتقد انها ارفع من أن تغار من خليلة مثل « ناتالى » وانها - فى رأينا - لم تكتب هذه الجملة الا فى موطن الفخر والتباهى بمنزلة الصداقة البريئة التى لم يشبها شىء من أغراض الحياة المادية .


LES MARTYRS

وفى سنة١٨١٧ اصيبت «تاتالى» بالجنون فتألم لها كاتبنا العاطفى ألما شديدا واخذ يبكى عليها بدموع لايليق انهمالهـا بعظيم مثله ، ولولا ان صديقته الوفية « مدام دى دوراس » سرت عنه كثيرا مما كان يجـد لكان لهذا الحزن أثر سيىء فى حياته .

ونحن نرى انه تأثر من الحادثة فى ذاتها أكثر من تأثره على هذه العشيقة .

وبالرغم من هذه العاطفة النبيلة فلم يلبث كر الغداة ومر العشى أن طويا تحت اجنحتهما هـذه الحادثة كما طويا غيرها من قبل وعرضت سـيدة اخرى تدعى :« جولييت ريكاميه » نفسـها على كاتبنا العبقـرى ، وكانت سيدة حادة الطبع ، نارية المزاج كأنها كمية من اقباس ملتهبـةاو كتلة من صـواعق محتكة ، ولكن الغريب المدهش ان هـذه السيدة بقدر ماكانت نارية المزاج، كانت باردة فى الناحية النسـوية الى حد لايكاد يعرف له نظير . ويظهر ان هذا يرجع الى اسباب صحية او الى التربية الخاصـة التى تلقتها منذ طفولتها . وسواءاكانت الاولى ام الثانية فان الذى لاشك فيه ان هذه السيدة لـم تخضع فى يوم ما من ايام حياتها الماضية للرغبات الحيوانيـة وانه لم يستطع واحد من الاشخاص الكثيرين الذين هاموا بها ان ينال من شرفها شيئا مـع ان هؤلاء المحبين كان من بينهـم الامـراء الفاتنون ، والادباء البـارزون ، والعلماء الجهابذة . ولكنها ابت ان تنحنى امام شيء من هـذه الاعتبارات . عرفت السـيدة جولييت هذه « شاتوبريان » فى سنة ١٨١٨ وكانت فى الاربعـين من عمرها ، وكان هو فى الخمسين فاقترحت هى ان تقف صلتهمـا عند حد الصداقة البريئة ، ولكنه هو طمع منها فى اكثر من هـذا فلم تسلم له بمـا اراد فاغضى عنها ، واذ ذاك شـعرت بشعلة الحب تتقد فى قلبهـا فاخـذت تنتقـل من مدينة الى مدينـة لتسرى عن نفسها وهو مغض ، معرض لايعيرها نظرة ولا لفتة ، لانه كان مفتونا بمجده . لاهيـا بكوكبه الآخذ فى اسباب الصعود حتى اتى الغرام الحاد على فؤاد

هذه المسكينة فكادت تخر جثة هامدة صريعة غرامه القاسى الذى لاتعرف الرحمة اليه سبيلا ، ولولا ان عطف الله قلبه عليها لاصبحت فى عداد الاموات منذ سنة ١٩٢٨

حياته السياسية

كنا قد تركنا : « شاتوبريان » فى منفاه بائسا مضطربا لايدرى اين يذهب ولا كيف يجىء لولا مدام دى دوراس التى كانت تعينه بحكمتها كما قدمنا . والآن نقول : انه لم يكد نجم « نابليون » يهوى حتى عاد الملك لويس الثامن عشر الى العرش ، وكانت « مدام دى دوراس » وزوجها من احب الرعية الى هذا الملك واكثرها ولاء له ، وكان لزوجها فى البلاط منزلة سامية . فكان اول عمل قام به بعد عودة الملك الى العرش هو استصدار الاذن بعودة « شاتوبريان » الى باريس ثم تقليده سفارة فرنسا فى السويد ثم لم يلبث ان استصغر عليه هذا المنصب فعينه سفيرا فى المانيا ولكن سرعان ما ضجر « شاتوبريان » من هذه الوظيفة ومل الثواء فى المانيا فكتب الى مدام دى دوراس يرجوها ان تحصل له على منصب فى باريس نفسها فلم توفق الى طلبه ، ولكنها استطاعت ان تنقله الى لندن . فسر من هذا النقل فى اول الامر سرورا عظيما لانه كان يحب هذه العاصمة التى قضى فيها ابان الثورة بضعة اعوام من اعز ايام شبابه . ولكن هذا الخيال لم يلبث ان تبخر فى راس كاتبنا المتنقل الطيار . فسئم لندن واعاد الكتابة الى صديقته الخيرة . لتطلب الى القصر امرا بنقله . وما زال يلح عليها فى الكتابة . وهى تلح على رجال القصر الفعالين حتى وصلت بعد حيلة الى تعيينه وزيرا للخارجية ثم كانت منه بعد ذلك تصرفات احنقت عليه الجالس على العرش حنقا كان له نتائج عملية قاسية فأسر « شاتوبريان » فى نفسه حفيظة ملتهبة لاسرة « بوربون » وان كان قد ظل وفيا للملكية فى ذاتها . ولما ثار الشعب بهذه الاسرة . كان « شاتوبريان » فى طليعة الحاقدين عليها المنتقمين منها . الا انها حين دعته لمناصرتها بعد طردها من فرنسا لبى دعاءها واسرع الى مناصرتها . وهكذا

برهن بهذا العمل على شهامتـه ومروءته . لانه عاد الى النضال في ميدان السياسة بعد ان هجرها واراح نفسه منها على اثر سقوط اسرة « بوربون » ولما ادى واجبه نحو هذه الاسرة بقدر المستطاع عاد الى اعتزال السياسة وقبع في داره يكتب ويؤلف ويتمم مذكراته التي سرد فيها تاريخ حياته ولا يرى من النساء الا مدام « ريكامييه » التي كان يقضي الى جانبها اوقات فراغه من كل يوم . لان زوجته قد وصلت الى حد من الضجر لا زيادة بعده لمستزيد واذ كانت تعرفه حق المعرفة ولا امل لها في الاستيلاء على قلبه الذي كانت تسميه هي القلب النسائي . فقد اكتفت بما احتملت منه كل هذا الوقت الطويل الذي يشارف الاربعين عاما من ضروب الالم وصنوف التنغيص . فغادرته الى حيث الهدوء والسكون في زاوية منقطعة من زوايا التناسي والهجران . فارتحل اليها مجاملة لها وارضاء لشعورها وأقام معها ردحا من الزمن ثم عاد وعاش سعيدا مع مدام « ريكامييه » بعيدا عن اعين الرقابة التي كانت تضايقه بها زوجته . وظل على هذه الحال زهاء سبعة عشر عاما لا يكاد يومه اثناءها يختلف عن امسه وغده . وفي سنة ١٨٤٧ توفيت تلك الزوجة الخيرة الصبور ثم لحق بها هو في سنة ١٨٤٨ بعد ان حزن عليها حزنا شديدا وهكذا انتهت حياة هذا الكاتب الشاذ في ذكائه وفي أسلوبه وفي اخلاقه وفي غرامه . فخبا بموته كوكب من كواكب الادب الساطعة في اوربا في القرن التاسع عشر بعد ان اثر في عصره تأثيرا بارزا ظهر للعيان في الشباب الذي حمل بعد موته اعلام المدرسة « الرومانتيكية » مثل « فيكتور هوجو » ومن نحا نحوه من اعلام « الرومانتيكيين » .

مؤلفـاته

تمتاز مؤلفات « شاتوبريان » بالعمق . والتحليل النفسي . والتصوير العاطفي . وبأنها كانت اولى الكتب التي وضعت ايدي القراء على مساوىء العصر . وبان حب الطبيعة وتذوق جمالها بارزان فيها بروزا واضحا . وهذه الظاهرة الاخيرة لم تنضج

الا فى كتب « روسو »و«برناردان دى سان بيير » مؤلف رواية « بول » و « فيرجينى » التى نقلها الى العربية المغفور له السيد المنفلوطى تحت عنوان «الفضيلة»

وقد أنشأ «شاتوبريان» أثناء نفيه فى انجلترا مؤلفا ضخما يقرب من ألفى صفحة ٠ وعنوانه « الناتشيز » وهم سكان احدى ولايات نهر «المسيسبى» ٠ وبعد أن أتم نسخ هذا الكتاب فقدت منه النسخة الوحيدة التى كان يملكها وظلت مفقودة عدة سنين ثم عثر عليها وفى أثناء فقدها اقتبس من حوادثها ما جعله موضوعا لروايتيه الفخمتين « اتالا » التى نشرها فى سنة ١٨٠٧ و « رينيه » التى سنة ١٨٠٧ و « رينيه » التى ظهرت فى سنة ١٩٠٢ ٠ واليك نبذة وجيزة عن كل منهما :

« اتالا » و « رينيه »

فاما « اتالا » فتتلخص فى ان شيخا مسنا يقص على الحاضرين الجالسين تحت نور القمر فى احدى الامسيات الجميلة حوادث شبابه التى وقعت له فى اسفاره الطويلة الماضية ٠ ومن هذه الحوادث انه كان عائدا الى قبيلته بعد فراره منها على اثر هزيمة حربية وقعت لها ٠ اذ سقط فى قبضة الاعداء فصمموا على احراقه ٠ ولما ارادوا التنفيذ حالت دون ذلك احدى الفتيات الموجودات فى هذه القبيلة المعادية وتدعى « اتالا » لانها كانت قد احبت هذا الشاب وكلفت به كلفا شديدا فنجته من مخالب الموت بأعجوبة كما يقولون ٠ ثم فرت به مخترقة الغابات السميكة حتى وصلت معه فى النهاية الى قسيس مسيحى ٠ واذ ذاك طلب منه الشاب ان يلقنه تعاليم دينه ٠ وان يجمع بينه وبين محبوبته « اتالا » ولكنها مع هذا الدله المبرح الذى تحس به نحو ذلك الفتى قد رفضت الزواج منه رفضا تاما ٠ لان والدتها كانت قبل موتها قد وهبتها الخدمة الكنيسة ٠ فلم تشأ ان تخرج على تلك الوصية ٠ وظلت تعانى هذه الآلام النفسية حتى ماتت بسم تناولته بيدها لتتخلص من ذلك الشقاء

واما رينيه فانه يقص على الشيخ المسن بطل الرواية السابقة حوادثه ويسرد البواعث التى حدته الى السفر

والترسكوت

حياته

ولد « والترســكوت » فى « ايدام بورج » فى ١٥ اغسطس سنة ١٧٧١ من اسرة عريقة المجد، قديمة العنصر عرفت بالمحافظة على التقاليد الموروثة ، والعادات المألوفة ، كما ظهر ذلك فيما بعد كثيرا فى مؤلفات « والترسكوت » وكان الثالث بين اخوة سبعة ، وكانت صحته ضعيفة منذ الطفولة، فاعتنت به اسرته وجعلته يمضى شطرا كبيرا من صباه فى احدى ضياع والده ليستمتع بهواء الحقول النقى وجوها الصافى

كانت امه قوية الذكاء، غزيرة الاطلاع ، واسعة الثقافة خصبة الخيال ، فنقشت فى ذهنه منذ نعومة أظفاره حب الاستطلاع الادبى والعلمى ، وقادت فؤاده الناشىء الى الشغف بالشعر السامى المفعم بتصوير الطبيعة وجلال الكون العام ، وغرست فى نفسه الشابة الهيام بكتب التاريخ وما فيها من حوادث هائلة ، ومفاجآت مرعبة ، فشب هذا الطفل وقد رسمت فى صحائف ذهنه وقلبه ونفسه كل هذه الصور الفاتنة الساحرة التى قذف بها فيما بعد الى القراء عن طريق رواياته المعجزة ، فاستولت على النفوس ، واخذت بمجامع الالباب ، وسرت منها تيارات كهربائية الى الافئدة ، ففصمت ما بينها وبين هذا العالم المادى من صلات ، وغمرتها فى عالم الفيض والنور الذى لا حقد فيه ولا حنق ولا بغضاء ، ولاريب أن هذا هو الاحساس الذى مازج نفسى حين اطلعت على روايات هذا الكاتب باللغة الفرنسية

مرض « والترســكوت » فى طليعة شبابه مرضا شديدا روع اسرته وجعلها تخشى على صحته مغبة العمل المتواصل ، ودفعها

الى ان تحظر عليه الانهماك فى الشواغل الادبية ، وحملها على مراقبته والحد من نشاطه بقدر المستطاع ، بل الجأها الى ان تحول بينه وبين الكتب الجدية وان تقصر مطالعته على الروايات والاساطير فهيأ له ذلك فرصة اشباع رغبته التى غرستها امه فى نفسه فاخذ منذ ربيع حياته يقص على رفاقه كثيرا من القصص والخرافات التى لا يعرفها احد منهم سواه ، وقد زاد شغفه بهذا النوع من الاساطير فجعل يلتقى بشيوخ مقاطعته من القرويين العوام ويستقصهم ما حدث لهم فى شبابهم أو ما سمعوه من ابائهم واجدادهم من قصص وروايات ووقائع محلية وتقاليد أسرية حتى ألم بثقافة لا يوجد نوعها فى بطون الكتب والمؤلفات .

لم يمنع « والترسكوت » انحراف صحته ولا حبه للشعر والخيال من أن يشتغل بدراسة القانون اشتغالا جديا حتى اتمها وعين قاضيا فى سنة ١٧٩٩ أى حين كانت سنه تناهز السنة الثامنة والعشرين وكان قد تزوج قبل تعيينه قاضيا بعامين زواجا سعيدا جعل حياته الخاصة تنساب فى هدوء وسكون انسياب الماء الصافى فى القناة المرصوفة

وفى اوائل القرن التاسع عشر اى فى سنة ١٨٠٢ بدا يكتب سلسلة كتبه الجيدة التى لم يمض عليها اكثر من ثلاثة اعوام حتى احاطت اسمه بهالة من الشهرة فى عالم الادب . وحتى سكبت عليه ثروة طائلة مكنته من ان يشترى قصرا فخما يشبه قصور الامراء والنبلاء . وفى سنة ١٨٠٦ عين فى وظيفة عالية فى سلك القضاء تدر عليه مبلغا ضخما فى كل عام . واخذ يكتب بعد ذلك سلسلة من المؤلفات الشعرية فيتلقفها الجمهور فى شغف عظيم . وما زال يكتب حتى نشر « بيرون » كتابه الشهير « شيلد هارولد » فى سنة ١٨١٢ فلم يكد « والتر سكوت » يتصفحه حتى احس احساسا قويا بان شعر « بيرون » يسمو على شعره . فصمم فى الحال على ان ينبذ الشعر نهائيا . وان ينعطف نحو النثر انعطافا تاما . وجعل منذ هذا اليوم يتجه نحو

النثر اتجاها جديدا . فانشأ بهعددا ضخما من الروايات والكتب التاريخية مثل « افانويه »و « وافيرليه » و « كانتان دوروارد » و «روبروى» وكان« والتر سكوت » فى أول الامر لايوقع على هذه الكتب بامضائه. وكانت مع ذلك ايدى الجماهير تتلقفها بمجرد ظهورها تلقفا يدفعها اليه حينا جمال الكتب واتقانها . وحينا آخر خفاءاسم المؤلف الذى يشوق القارىءالى البحث عنه فى عناية واهتمام وانه لعلى هذه الحال السعيدة ماديا وأدبيا ينعم بمجد شهرته الادبية ويستمتع بنعماء ثروته الواسعة اذ وقعت عليه تلك المصيبة الداهمة التى هزت كيان حياته ونغصت عليه سعادته . وسبب هذه الكارثة ان صديقه الناشر قد افلس فجأة

وكان كاتبنا النبيل قدضمنه فى مبلغ ضخم من المال والتزم بدفعه فألجأه الدائنون الى ان يبيع كل ثروته ولم يبقوا له الا قصره الذى يعيش فيه وقدبقى عليه بعد كل هذا مائة وثلاثون الفا من الجنيهات فلما خاطبه الدائنون فى هذا اجاب فى هدوء وابتسام بانه سيدفعها راضيا مغتبطا اذا هم تركوا له الوقت الكافى لذلك . فلما راوا منه هذاالنبل اتفقوا جميعا على اعفائه من بيع القصر وعلى امهاله الى ان يتمكن من الوفاء . وبهذا بدا يدفع هذه الديون واستأنف الكتابة والتأليف فكتب مابين سنتى ١٨٢٦ و١٨٣٠ كتابى« تاريخ نابليون » و « تاريخ الايكوسيين » ولما حلت هذه السنة الاخيرة كان قد دفع نصف الديون . ولكنه فى اثناء قيامه بدفع النصف الثانى أحس بأن صحته تنحرف شيئا فشيئا كان العمل المتواصل كان ينحت منها: واخيرا اصيب بضربة شلل قاسية بقى بعدها فى الحياة زهاء سنتين يتراوح بين المرض والشفاء حتى فاجأته المنية فى سنة ١٨٢٢ عن واحد وستين عاما مليئة بالوان المجد والعظمة واصناف الجلال والخلود

ويروى التاريخ الادبى أن ـ والتر سكوت ـ كان يكتب فى

كل يوم عشرين صفحة ، وانه كان يعنى فى كتبه التاريخية بتحقيق الحوادث ولا يعتمد الا على المصادر الصحيحة والمراجع المضبوطة . اما كتبه الروائية ، فقد كان يطلق فيها العنان لخياله اطلاقا تاما ، وهذا هو الذى جعل كتبه تنتشر وتعم كل البيئات العلمية والادبية وتترجم بعناية الى كل اللغات الحية ، وهذه الميزات ايضا هى التى جعلت هذه الكتب تقود زعماء المدرسة - الرومانتيكية - فى فرنسا فى الطريق الذى انتهى بهم الى رفع لواء هذه المدرسة الجديدة فى ميدان الادب ، ومن يقرأ روايات وكتب : - فيكتور هوجو - و- لامارتين - و - الفريد دى فينى - يجد فيها تأثير - سكوت - واضحا ملموسا كما سنشير الى ذلك فيما بعد ، وفوق ذلك فان كتب هذا الاديب النابه هى التى الهمت - اوجوستان تييرى - خطته الجديدة ، التى سلكها فى تاليفه التاريخى والتى لم يسبقه اليها احد والتى غيرت اراء الناس فى كيفية تأليف التاريخ بيد ان النقاد المحدثين يلاحظون ان القيمة الادبية لكتب - والتر سكوت - قد بدأت تنحط فى هذا العصر ، ولست ادرى علام استند النقاد فى هذا الحكم ؟ فاذا كانوا قد بنوه على ملاحظة انصراف الجماهير الانجليزية عن هذه الكتب ، فهو حكم خاطىء ، لان هذه الكتب مفعمة بالنبل والسمو ، وان افكار الجماهير الان اصبحت منصرفة عن هذه العواطف العالية فمن العبث أن يؤخذ حكم الادنى برهانا على هبوط قيمة الاعلى . وهذا هو الذى تنبه اليه المثل القائل : - ان العناقيد العالية فجة فى شرع بنات اوى -

واذا كان هذا الحكم قد بناه النقاد على عدم ملاءمة هذه الكتب الواقعية القرن العشرين المغالية فاننا نقول : ان هذه الواقعية المغرقة فى المادية خطرة على اوربا وربما كانت منشأ انهيارها المتوقع فى المستقبل القريب ، لان العالم استطاع ان يعيش الاف السنين بدون هذا الاغراق البغيض فى المادة ، ولكنه لم يستطع ان يعيش بدون النبل والسمو يوما واحدا وليس ادل على خطأ هذا الحكم المتسرع على مؤلفات والتر سكوت من ان قيمة هذه الكتب فى فرنسا ارفع منها فى انجلترا ، وهذا لان الشعب الاول لم يغرقها فى العملية

المغالية اغراق الشعب الثـــانى فيها . ومهما يكن الباعث على ذلك فان الذى لاريب فيــــه ان القراء اليوم اقل اقبالا على هذه المؤلفات منهم بالامس ، وهذا مع استثناء روايتى - افانويه - و - كانتان دور وارد - وذلك فى فرنسا اما فى انجلترا فلم يبق محبوبا من هـــذه الكتب الا ماشتمل منهــــا على التصوير الصحيح لاخلاق -الايكوسيين- وعاداتهم وتقـــاليدهم مثل - وافيرليه -و - روب -روى- وليس هذا طبعا الا لما احتوت عليه هذه الكتب من فائدة عملية للقراء .

ومع ذلك كله فاننا نستطيع ان نؤكد ان اسم -والترسكوت- كان ولا يزال وسيظـــل مقترنا باسمى المجد والخلود مادام على الارض أدب يقرأ ، وفن يتذوق ،وعقـــول تدرك ، وقلوب تحس وتشعر .

هـــذا ، وسنلخص لك هنـــا بعض تلك الروايات النفـــائس تلخيصا موجزا مع ابداء رأينـــا فى كل واحدة منها .

١ - افانوية

تعتبر هذه الرواية احـــدى روايات الدنيا الفخمة فى القـــرن التاسع عشر ، فهى من الناحيـــة التاريخية فاقت كتب المؤرخين المؤلفة خصيصا لهـــذا الغرض لانها رسمت الحرب التى دارت رحاها فى القرن الثانى عشر بين العنصر - النورماندى - الفاتح والعنصر السكسونى المغلوب على امره رسما دقيقا عجزت عنه كل كتب التـــاريخ ، بل قد اكد المشتغلون بالحركة الادبيـــة فى اوروبا ان - اوجوستان تييرى- لم يؤلف كتابه - احتـــلال النورمانديين لانجلترا - الا على ضوء معلومات رواية -افانوية- الصحيحة التى لولاها لما استطاع هذا المؤرخ الكبير أن يخطو فى كتابه خطوات موفقة ، ولجاء هذا السفر ضعيفا واهنا قاصرا فى الحوادث والتفصيلات ، وهذا هو ملخص تلك الرواية الفاتنة

كان - سيدريك - وهو المثل الاعلى للعنصر السكسونى القديم المحـــافظ - يعيش فى قصـــره العظيم مع مرعيته الانسة روينا

وهى مثل وصبها من دم ملكى سكسونى عريق ، ولما كان هذا الشيخ العصى مغاليا فى المحافظة على التقاليد الرجعية فقد ابعد ابنه الفارس الشهم النبيل من القصر لانه احس انه يحب هذه الانسة التى هى فى كنفه ، والتى تشترك معه فى الدم الملكى ، فلم يسع هذا الشاب النبيل الا ان يلتحق بمعية الملك الحالى - ريشار قلب الاسد - الذى لم يلبث ان قدر قيمته وجعله مختاره ومصطفاه ، فلما علم والده المحافظ بهذا النبأ خيل اليه ان ابنه قد دنس بهذا العمل اسرته السكسونية العريقة ، فاستشاط غضبا وأصدر فى الحال امرا بجحد بنوة هذا الشاب الذى اهان عنصره بهذا العمل المزرى ولكن افانويه لم يعبأ بهذا الجحد كثيرا ولا قليلا ، واستمر فى تنفيذ فكرته فرافق الملك مسرورا مغتبطا الى الشرق ، ليشترك معه فى الحروب الصليبية - هذا من ناحية - سيدريك السكسونى - وابنه ومرعيته ، اما من ناحية الملك قلب الاسد فى دعائم النبل والسمو المجتمعة فيه والتى حدثنا عنها تاريخ الحروب الصليبية فى شىء من التفصيل وبينما كانت هذه الدسائس وتلك المؤامرات تسير فى الخفاء ، اذ بالملك النبيل يحضر الى انجلترا متخفيا ويرأس عصابة من الجنود ليتمكن بمعونتها من انقاذ العرش والقضاء على المتآمرين ، وقد عاد معه - افانويه - متخفيا كذلك وأبلى بلاء حسنا فى مساعدة الفضيلة ومنازلة الانذال ، وقد انتصر على خصومه فى احد الميادين العامة على مرأى ومسمع من - روينا - محبوبته القديمة ، وكان من بين خصومه شاب عنيف الطبع ، حديدى الارادة ، ولكنه منحل الخلق ، مغرق فى المجون ، وهو - روبان هود - الذى بذل مجهودا كبيرا كلل بالنجاح فى اسر - سيدريك - والد - افانويه - وفى الاستيلاء على مرعيته - روينا - بعد ان جرح افانويه جرحا خطيرا ، فلما استولى هذا الشاب وأصدقاؤه الماجنون على هذا الشيخ السكسونى وفتاته - روينا - وفتاة يهودية تدعى - ربيكا - ارادوا ان يقتسموا هذه الغنيمة ، فأما احدهم فقد أحب الفتاة اليهودية وأراد أن يملكها لنفسه خاصة ، واما الثانى فقد كان كل همه ان يهدد والد هذه الفتاة اليهودية ، ليستولى

على ثروته الضخمة ، واما الثالث فقد كلف بالفتاة السكسونية ورغب فى الاستمتاع بها ، وانهم لعلى هذه الحالة السيئة التى يتأمرون فيها بقهر الابرياء وهدم الفضيلة فى أشخاصهم، اذفاجأهم الملك النبيل : ـ قلب الاسد ـ ملثما ، وعلى رأس عصابة، فشتت شمل دسائسهم ونجى من شرورهم هذه النفوس البريئة ، وهنا وفى هذا الفصل بصور لنا ـ والتر سكوت ـ موقفا من اروع المواقف التى عرفها التاريخ فى السمو والعظمة والمروءة

بيد ان ـ ربيكا ـ الفتاة اليهودية هى وحدها بقيت لامر ما فى يد هذا الشاب الماجن فلما رأى رؤساء المذهب الدينى الذى ينتسب اليه هذا الشاب انه مغرم بهذه الفتاة ، صمموا على احراقها حية بتهمة السحر الذى تصوروا او ارادوا ان يتصوروا انها استولت به على عقل فتاهم ـ روبان هود ـ وانهم لفى طريق تنفيذ هذه الجريمة اذ قام فارس شجاع يدافع عن هذه الفتاة المظلومة ولما أحس ذلك الشاب الماجن بان كل هذه الفتنة المندلعه نشأت من تصرفه من ناحية ورأى ان خصمه ـ افانوبه ـ قد شفى من جرحه وجاء يتطوع بالدفاع عن هذه الفتاة من ناحية ثانية ، احتدم فى صدره مرجل الحقد والغيظ والندم والاسف ثم لم يلبث ان قتل فى هذه المعركة ونجت الفتاة . ولما رأى ـ سيدريك والد افانوبه ـ كل هذا المجد الذى يحوط ابنه الشهم من جهة ، وأيقن بأنه لن يجد لمرعيته الشاب السكسونى العريق الذى تتوفر فيه الشروط من جهة ثانية ، وشاهد نبل الملك

قلب الاسد ـ ومروءته وكرم خلقه من جهة ثالثة ، اعتزم العدول عن خطته الاولى بحذافيرها وزوج ابنه الشهم النبيل من مرعيته الجميلة المصونة واعلن انه يتيه مباهاة وفخرا بهذا الابن العظيم . وقد قوبل هذا النبأ بفرح شامل الا من الفتاة اليهودية فانه هوى على فؤادها فحطمه واذاب حياته ، لانها كانت تعبد ـ افانوبه ـ فيما بينها وبين نفسها ، ولكنها كتمت هذه العاطفة فى صدرها احتفاظا بكرامتها وهنا انتهت هذه الروايه الشيقة النادرة المثال ، واهم ما فيها من مميزات هو





الوصف الدقيق والتصوير الامين للعناصر الانجليزية السكسونية والنورماندية الفرنسية والعربية المسلمة . واليهودية المحافظـة في القرن الثاني عشر ، اى ابان اندلاع لهيب الحروب الصليبية وهذا هو الذى جعلها مرجعـا محتـرما من مراجع التـاريخ الصحيح ووضعها فى مصاف عمد الكتب الحقيقية ومنحها الجلال والخلود . على ان هذه الميزة فى رأينا تتلاشى بالقياس الى ما فى الراوية من تصوير السمو والنبل باحـرف بارزة قد صنعت من عناصر النور الذى يبهر الالباب ويسحر العقول .

٢ ــ كانتان دور وارد

عد هذه الراوية ايضا فى صفوف الروايات الخالدة التى كانت مبعث مجد وفخار لمؤلفها كسابقتهـا ـ افانو يه ـ لـ ـ والتر سكوت ـ وك ـ هاراوف ـ لـ شاودسون و ـ هيـلويز الجـديدة ـ ا ـ روسو ـ و ـ الام فرتر ـ لـ ـ جوت ـ وغير ذلك من المؤلفات التى رفعت كتابهـا واعلنت اسماءهم الى مسابح الافلاك . وتتلخص هـذه الرواية فى أن لويس الحادى عشر ـ ملك فرنسا كان له حرس ـ ايكوسى ـ وكل رياسته الى ضـابط نشيط شجاع يدعى ـ كانتان دوروارد ـ وبينما هو قائم بأمور مهمته ، اذ لجأت الى بلاط الملك سيدة شابة جميلة ، لتستغيث بحمايته من ـ دوق دى بورجونى ـ الذى أراد الاعتـداء عليها اعتمادا على طغيانه وجبروته ، وطلبت من الملك ان يرسلها فى حمايته الى ـ لييج ـ بلجيكا فقبـل الملك لعلة سياسية لانه كان يريد ان يتذرع بهذه الحادثة الى تأليب بعض المقاطعات على هذا الدوق ثم ارسل هذه السيدة مع ضابطنا الشجاع رئيس الحرس الى تلك الجهة التى عينتها لك آنفا ، وفى نفس الوقت عقد عهدا مع ـ جيوم دى لامارك ـ احد حكام الشمال التزم فيه هذا الحاكم بان يؤلب المقاطعة على الدوق المقصـود والتزم فيه الملك بان يسلم تلك السيدة المسكينة الى هذا الحاكم فلما علم « كنتان » الضابط بهذا الاتفاق رفض تسليم السـيدة واعتبر الملك فى هذه المسـألة جائرا على بريئة جورا لامبرر له الا الاغراض السياسية ، وبدل

ان يحمى هذه السيدة ضد الدوق لجأ اليه واشترك معه فى محاربة الملك وانبأه بكثير من اسراره ، وقد تمكن الدوق بهذه الطريقة من القبض على الملك واراد قتله . ولكنه عاد فامتلك زمام نفسه وعفا عنه بعد ان اخذ منه توقيعا على اوراق مهينة للكرامة وشرف المملكة والتزامات قاسية ، بيد ان هذا الملك لم يكد يصل الى مملكته حتى احتقر هذه المعاهدة احتقارا تاما واعتبرها حبرا على ورق لا اكثر ولا اقل ثم اعاد الكرة على الدوق فاسره بدوره فى حالة بائسة . وتحدثنا هذه الرواية كذلك ان - جيوم دى لامارك - الذى كان يريد الاستيلاء على تلك السيدة واتفق مع الملك على ذلك قتل فى احدى معارك الثورة الاقليمية ، وبهذا خلا الجو لضابطنا الشهم - كانتان دوروارد - فتزوج بتلك السيدة الفاتنة وبهذا انتهت تلك الرواية المعقدة ، واهم مايسترعى الانتباه فيها ان ما اشتملت عليه من الحوادث كله حق تاريخى ، وان المؤلف لم يزد عليه الا الوضع الروائى المتفق ، والتصوير الفنى المحكم ، والاسلوب الادبى الرشيق ، وأن أبطالها من النوع المعقد الذى تكتنف حياتهم الدسائس السياسية من كل مكان ، وأن أحداثها مأساوية بالفطرة لا بتنسيق المؤلف ، وان « لويس الحادى عشر » لا تهمه لنجدة فى ذاتها ، وانما يقصد - بتوطيد سلطانه ومد نفوذه - الى اضعاف خصمه . وهو لهذا يسلم عن طيب خاطر تلك السيدة اللاجئة الى كنفه الى حاكم الشمال الطامع فيها - بعد أن تظاهر بحمايتها ضد الدوق ، وفوق ذلك فان المؤلف يصور لنا هذا الملك ماكرا محتالا يتظاهر بالانبساط بتوقيع التعهد حين يهدده الدوق بالقتل ، ثم هو يستهين بهذه المعاهدة اذا أصبح فى قصره ، وهو يصور لنا كذلك بقية الابطال تصويرا غريبا يقوم فيه كل واحد منهم بدوره المعقد خير قيام .

اللورد بيرون

ولد « جورج بيرون » فى احدى المدن الصغيرة ببريتانيا فى شهر يناير سنه ١٧٨٨ من اسرة ماجدة عريقة النسب بعيدة الصيت ، اذ كان ابوه من اسرة « بيرون » المستمتعة بلقب « اللوردية » وليس هذا فى انجلترا بالشيء الهين او اليسر ، اما والدته فقد كانت من اسرة « اكوسية » بالب هى ايضا من الشرف والنبل حظا جعلها جديرة بالاقتران بأحد اعضاء اسرة اللورد « بيرون » التى بلغت من السمو الى حد ان كان الملك نفسه يعرف رئيسها معرفة تامة ، بل قد اهداه ضيعة واسعة برهن بها على حبه اياه وعطفه عليه .

تزوج والد « بيرون » قبل بنائه بوالدته سيدة اعقب منها فتاة سماها « أجوستا » ثم توفيت هذه السيدة فلم يلبث زوجها ان خطب والدة «بيرون» ثم بنى بها فولدت شاعرنا العبقرى الذى لم يسم الى مثل منزلته — فى انجلترا — حتى « شكسبير » نفسه بالرغم من ذلك الضجيج وتلك الطنطنة اللذين احكمت الجماهير نطاقهما حول اسمه حتى اوصلته الى مرتبة الاعجاز والوحدانية فى غير جدارة ولا استحقاق ، بل فى الوقت الذى يصرح فيه الفرنسيون بان ادبهم لم يصب بشيء ، ولم تنحط قيمته الا من جراء تأثره بأدب « شكسبير » الذى كثيرا ماينزل فى احرج المواقف واكثرها حزنا الى النكت السوقية الباردة أو الى مايدعونه « بالتريفياليتيه »

لم يكد « بيرون » يبلغ الرابعة من عمره حتى كان ابوه قد بدد كل ثروته ثم كر على زوجته — وكانت ثرية ورثت من اسرتها

ثروة طائلة فأثقلها بالديون، اضاع منها الشىء الكثير ولولا انها لم تستسلم له لاتى عليها جميعا ، ولكنها وقفته عند الحد الاول الذى شعرت معه بانها آيلة الى الخراب اذا سارت فى تياره الاحمق المبذر .

ولما انهالت عليه رسائل الدائنين وانذارات نزع الملكية ، فر من انجلترا الى فرنسا بمقدار ضئيل من المال ظل ينفق منه حتى مات بعد زمن وجيز ميتة خافتة لاتليق بمقام اسرته العالية، وكان ذلك فى سنة ١٧٩١ ولم تكن حيلولة هذه السيدة بين زوجها وبين تبذير ثروتها ناشئة من شرهها فى المال أو مدفوعة اليها بباعث الشح او الضن على زوجها بما تملك ، كلا ، فان هذه السيدة ظلت محبة لزوجها ووفية له حتى غادر الحياة ، وانما السبب الذى حداها الى سلوك هذه الخطة الايجابية ، بل العنيفة فى منعه من التصرف فيما بقى من ثروتها هو حبها لابنها الصغير ، وتفكيرها فى مآله السىء ومستقبله المظلم لو أنها سلمت اليه ثروتها كما كان يريد .

ومهما يكن من شىء ، فان « اللادى بيرون » قد انسحبت على اثر موت زوجها من تلك البيئات العالية التى كانت تعيش فيها ايام عزها وسعادتها ، لانها اصبحت تكلفها من الانفاق مالا طاقة لها باحتماله ، فانتقت لها مسكنا صغيرا تثته بأثاث متواضع وقطنت فيه مع طفلها الذى لم يتجاوز بعد العام الرابع، ولما كانت « اكوسية » ميالة بفطرتها الى الاقتصاد ، بل الى الشح والتقتير فقد استطاعت ان تعيش بهذه الصبابة الضئيلة التى ابقتها لها الاحن والارزاء . بيدان هذه السيدة على مابها من اقتصاد وتصرف حسن فى تدبير المنزل والاحتفاظ بالمال كان بها عيب فى طباعها ذو اثر سىء فى تربية « بيرون » وهو انها كانت حمقاء سريعة الغضب ، تهتاج لابسط الدواعى ؛ وتصيح وتركل الارض بقدميها لاوهى الاسباب ، وتهين الغلام وتوسعه ضربا ولكما اذا اتى من العبث مالا مندوحة للاطفال عنه اثرت هذه المعاملة القاسية ، بل الهوجاء فى حياة الطفل ، فحولته الى شعلة من

نار ، وجعلته حاد الطبع سوداوى المزاج ؟ يغضب من لفتة ، ويثور من لفظة ولكنه لم يفقد البتة شيئا من كرم طبعه وحبه للاحسان ، وعطفه على المنكوبين والاشقياء ، وان كان شديد الكبرياء الى حد الاتسام بالعجرفة والغرور فى نظر كثير من عارفيه الذين لم ينظروا فى تقديره الا الى ناحية واحدة وهى أن « بيرون » متكبر يحتقر الناس جميعا ،ولو انهم انصفوا لعذروه ، لانه كان - فى القرن التاسع عشر فى انجلترا - فريدة العقد ونسيج وحده لا يدانيه فى خياله كاتب ولا شاعر ، ولا يتطاول الى مثل مجده فى بريتانيا غابر ولا معاصر ، وبالاجمال كان «بيرون» ابن الجيل ووحيد العصر ، واختبار السماء فى ذلك العهد . واذا ، فهو فى ترفعه غير ملوم او له العذر على أقل تقدير .

كان « بيرون » جميلا الى حد الفتنة والسحر ؟ ولكنه لسوء الحظ كان مصابا بالضعف ونحف شديدين فى عقبيه حتى اصبحتا غير قادرتين على حمله ، فنشأ لا يستطيع المشى الا اعرج ، وقد نالت هذه العاهة من نفسه منالا شديدا ، فحولت ايامه الى ظلام قاتم ، وكسرت قلبه وجعلته يتصور ان كل فتاة تنظر اليه تستهزىء به وتسخر من عاهته . وقد ايد هذه العقيدة فى نفسه انه كان فى احد الايام مارا امام باب حجرة ابنة عمه ، وكان يحبها حبا شديدا فسمعها تقول لخادمتها هذه الجملة القاسية : « قبحك الله ! أأتزوج من هذا الغلام الاعرج ؟ » فلم تكد هذه الجملة تطرق مسمع « بيرون » حتى هوت على فؤاده فحطمته ومحت منه كل امل فى اكتساب قلوب الفتيات .

أدخلت السيدة الايم ابنها المدرسة وعنيت بتثقيفه عناية فائقة حتى اضحى من خيرة الشبان المهذبين فأتاحت هذه التربية العالية الفرص السعيدة لظهور تلك العبقرية الفذة ، فظهرت بهيئة لم تبهر انجلترا وحدها ، وانما بهرت كل اوربا فى ذلك الحين حتى ان مؤلفاته قد ترجمت الى كثير من اللغات الحية آنئذ ، فأخذ الشباب المتعطش الى الادب الراقى ، والمفتون بالاساليب الساحرة يلتهمها فى شراهة ونهم لا نظير لهما .

وفى سنة ١٧٩٤ توفى مورث لقب « اللوردية وثروتها فى اسرة « بيرون » ولم يترك وارثا لكل هذا غير ذلك الطفل اليتيم، فآلت اليه رياسة هذه الاسرة ولقب نبلها كما آلت اليه ثروتها وان كانت قليلة ، ولم تكد امه تسمع هذا النبأ حتى استطارت فرحا ، وتاهت عجبا وفخرا واسرعت الى اخراج طفلها من مدارس الشعب وألحقته باحدى المدارس « الارستقراطية » فأتم بها دراسته فى تفوق وامتياز

زاد نشاطه فى هذا العهد الذى قضاه فى مدرسة الاشراف، وشغف بالفوز . واغرم بالنجاح، ومالت نفسه الى الاستيلاء على كل شئ ، ونشأت بينه وبين بعض الفتيان المهذبين علائق حسنة منذ تلك السن المبكرة ، وتأسست بينه وبين الكثيرين منهم صداقات وفية واخوات مخلصة .

ولما بلغ « بيرون » سن الرجولة، اندفع وراء شبابه الاهوج فى تيار العهر والمجون . وهذا هو كل ما أخذه عليه التاريخ نقلا عن اصدقائه الاقربين

وفى سنة ١٨٠٣ وكان « بيرون » اذ ذاك فى الخامسة عشرة من عمره ، دعيت اسرته الى بيت احد معارفهم ، وكان الشاب قد انهى السنة الدراسية فرافق امه الى هذه الدار وهناك وقعت عينه على أجمل الفتيات وجها وارشقهن قدا ، واخفهن روحا واعذبهن منطقا وهى «ماري انا» ابنة الداعى ، وهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها وكانت مخطوبة لاحد ابناء الاشراف . فسقط فؤاده اسيرا فى فخ غرامها سقطة لم ينهض منها حتى آخر لحظة فى حياته . ويعتبر هذا الحب اول احداث « بيرون » العاطفية الجدية وهو الذى منح الحرية لكل شياطين روحه فهاجوا وماجوا وحطموا جميع اغلال التقاليد والعادات ، ورفعوا عقائر الشعر الخالد نقشوه على صفحات الكتب بعد ان ألهبوه بنيران فطرهم الشيطانية ، فخرج للناس سحرا فاتنا ، وبيانا آسرا ، وغراما مجسما ، ودلها مصورا .

اما الفتاة فقد كانت تنظر الى حب «بيرون» اياها نظرة العابث

الساخر ، لانها كانت تعتبره غلاما يلهو ، فاتخذته - بما كان ينشد فيها من شعر - اداة مرح وسرور ، وبرهان جمال وفتنة الى آخر العطلة الصيفية اى زهاء شهرين ثم انتهى كل شىء من ناحيتها واصبحت تنظر الى عواطف هذا الغلام نحوها نظرها الى فصل من رواية تمثيلية شاهدت على مسرحها حادثة حب من جانب واحد ثم انسدلت عليها الستار فأصبحت فى خبر كان . وقد تأكد « بيرون » قبل افتراقهما ان هذه الفتاة لم تتأثر بحبه ساعة واحدة تدفعها له فى مقابل تلك الليالى الطوال التى قضاها فى التفكير فيها وفى الامل فى حبها ، فاندك صرح نفسه ؛ وانجرحت كبرياؤه ، واصيب فؤاده بطعنة نجلاء لم يندمل جرحها حتى آخر ساعة فى حياته ، ولكنه كظم اهانته فى نفسه ، وكبت غرامه فى قلبه ، وتلقى من هذه الحادثة درسا قاسيا ؛ فاعتزم أن يهجر منذ اليوم تلك الطفولة البريئة التى كانت تدفعه بالامس الى حب من لا يحبه والانخداع بسراب الآمال ، وبروق الاحلام ، ومنح عواطفه النبيلة رخيصة مبتذلة لمن لا يقدرها ولا يقابلها بمثلها . ومنذ هذا اليوم اصبح رجلا قوى المراس ، صلب الارادة لا يضعف امام المرأة ولا ينهزم فى ميدان العواطف الغرامية الافلاطونية . وليس معنى هذا ان « بيرون » قد انصرف عن حب المرأة العاطفى واصبح يستمتع بجسمها فحسب ، كما يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى ، كلا وانما احب بعد هذه الحادثة عدة مرات محبات قلبية ظهرت صورها فى شعره مثل حبه لابنة وكيل قنصلية انجلترا فى «أثينا» التى قال فيها القصيدة الرائعة الخالدة التى ترجمها الى العربية فقيد الادب المغفور له الاستاذ محمد السباعى تحت عنوان « غادة اثينا » والتى سننقل اليك هنا شيئا منها لترى نموذجا من رشاقة اسلوبى المؤلف والمعرب معا ، وهاك هذا النموذج :

غادة أثينا قد حان الفراق فردى على فؤادى والا ، فأبقيه وخذى سائرى ، واسمعى منى قبل الرحيل كلمة الميثاق يامنية الروح شد ما اهواك

بما بعينيك من سحر ، ومابفيك من خمر ،وبشقيق الوجنتين ، وعقيق الشفتين ، وفاحم غريب يلثم مواطىء قدميك ، ومقلتين قتالتين تديران اكؤس العقار ،وغدائر تلاعب نسمات الاصائل والاسحار ، انى يامنيـة الروح شد ما اهواك

بخندريس ثغـرك الوضاح ،ومنضودان كاللؤلؤ بل البـرد بل الاقاح . باناء ذلك الرضاب الذى تظمأ اليه الروح ، وكـوثر الريق الذى ليس الا به يشـفى الغليل والنوح ، وحجل مشبع ونطاق غرثال ، وقمر وكثيب ،يفصلهما غصن بان ، وثدى ناهد وردف رجراج . وكشـح ضامر واحشاء تضيع من الوشاح .انى يامنية الروح شد ما أهواك !

برمـوز المحبـين ، وآيات المغرمين ، بلسان اهل الهوى . ولغـات أولى الجـوى ، من نوروريحان وورق وأغصـان ، مما يترجم عن القلوب والالحاظ ،مالاتفسره الكلم والالفاظ . من ثلج وفرحة ، وكمد وقرحة وألم وأمل ، وردَح وجـدل ، وخفـر وخجل ، وفرق ووجل . انى :يامنية الروح شد ما اهواك !

غادة اثينا لقد نزعتنى منـك يد النوى ، ورهنتنى لديك كف الهوى ، فأنا راحل مقيم ، موجود معدوم .

انا على البعـاد والتفرق لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

بنواظر الاوهام اراك . وفى عوالم الاحلام ألقاك ، ولكن من لهاتين المقلتين برؤياك ، فهل انت حافظة الود ؟ وهل برأك الله راعيـة العهد ؟ وهل اذا نأت الدار وشط بى وبك المزار وحالت بينى وبينك تلال وبحار ، أجرى لك البال ،أو أهيج منك البلبال ؟

اذكرونا مثـل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

اذكروا صبا لايزال حبكم بين جنبيه ، وشـبحكم ماثلا امام عينيه ، انتم شغله الشـاغل فى اليقظة والوسن ، وحديث امانيه فى السر والعلن ، ان لسان قلبه يناديكم : يامنية الروح شـد ما أهواك «١»

« ١ »انظر صفحة ٢٩ ومابعدهامن كتاب « ابطال العالم » تعريب المغفور له الاستاذ محمد السباعى

ولكن هـذا الحب العـذرى بالرغم من تسجيله فى هذه القطعة الادبية الادبية الساحرة لم يسم فى نفس (بيرون) ولا فى مؤلفاته سمو حبه الاول لـ (مارى انا)التى طالما عبدها فى عدة مواضع من كتبه تحت اسم (نجمـة الصـباح) وليسـت هـاتان الحادثتان الغراميتان هما كـل ما « لبيرون » من وقائع اشتبك فيها قلبه بحب المـرأة ، بل قد وقع له فيما بين هذين العهدين كثير من هذه الحوادث الغرامية بعضها جدى اثر فى قلبه ونال من فؤاده والبعض الآخـر كان فيه عابثا لاهيا . فأما مثـال النوع الاول فهو كثـير سـجله « بيرون » فى كتبه وذلك مثـل حادثة غرامه الشهيرة التى وقعت له مع السـيدة الاسبانية حين ارتحل الى تلك البلاد فأحبهـا حبا قلبيا صحيحا وقال فيهـا شعرا قويا حادا يدل على انه لم يكن فى هذه المرة عابثا ولا لاهيا، واما النوع الثانى فمثل عبثـه ولهوه بقـلوب اولئك الفتيـات الكثيرات اللاتى سقطن فى قبضة غرامه حين اندمج فى المجتمعات العاليـة التى كانت تنعقـد فى منتديات الاشراف والاعيـان فى المدينة الصغيرة التى كانت فيها مدرسته ، اذ تزاحمت على حبه الكثيرات منهن ، تحسب كـل واحـدة انه لها وحـدها دون سواها ، وهو فى الواقع لم يكن لاية واحدة منهن، وانما كان يتلهى بجمالهن ويعبث بمهجهن لا أكثر ولا اقل . لانه كان فى هذا العهد لا قلب له ولا عاطفة عنـده وان كان قـد قال فى بعض هـؤلاء الفتيات شعرا اثبته فى مؤلفـه الاول الذى اخرجه للناس وهو فى التاسعة عشرة من عمره تحت عنوان : «ساعات البطالة» والذى لم يكد يظهر حتى اسرع كثير من الاشراف الى اقتنائه . مدفوعين بغـريزة حب الاطـلاع ليروا منتجات هذا الشاعر « اللورد » بيـد انه حين تنـاولته الايدى، قراته الاعين هاجت به عاصفة شـديدة من النقـد ، فلم يحتمل « بيرون » هذه الحملة الشـعواء التى وجهت الى اول منتجاته الادبية فغادر لندن الى القرية التى فيها امـلاكه حيث اقام مع امه التى اخذت الشراهة فى المال تزداد فى نفسـها شـيئا فشيئا حتى اصبحت لا تكف عن

مناضلته بسبب ماينفقه علىملاذه من المال . وبينما هماعلى هذه الحال المريرة اذ دعى« بيرون » لتمثيل اسرتهفىمجلس « اللوردات » فلبى الدعوةولكنهلفرط اهماله وتهاونه فى القيام بهذه المهمة كان مضرب المثللجلب الخجل والعار الى طبقة « اللوردات » الجديين المحافظينالذين لايلهون الا تحت ستار الخفاء واخيرا ضاق صدره منالبقاء فى انجلترا وانقبضتنفسه عن سكانها فأصبح لايطيقالمقامفوق ارضها فغادرها الىاسبانيا ثم الى البانيا ثم الى أثينا ثمالى القسطنطينية . وقد امضى فى هذه الرحلة زمنا كان يود انيكون اطول مما كان لولا انوكيله قطع عنه المال فاضطر الىالعودةسريعا فرجع على مضض . ولكنه عاد بثروة أدبية ضخمةاوحتها اليه هذه الرحلة الطويلة الشيقة التى غمسته فى بحرخضم من الحوادث ذوات الاثر الفعال . فمن ذلك مثلا حادثةالفتاة الاسبانية التى اشرنا الى علاقته بها آنفا وحادثة غرامهبابنة وكيل القنصلية التىخلدها بقصيدة « غادة اثينا » الفاخرةالتى نقلناها اليك . ومن ذلك ايضا مشاهدته تلكالحالةالمهينةالتى كانت فيها بلاد الاغريق من مقاساة الذل والهوان والاستعبادمما هاج ببال « بيرون » واطلق لسانه بتلك القطعة الملتهبة التىتندلع النار من كلماتها ضد الاستبداد والمستبدين كمايتطايرمن جملها الاحتقار للاستكانة والمستكينين . وقد اثبت« بيرون » هذه الفرائد الخالدة فى كتابه : « رحلة شيلد هارولد»الذى اصدره بعد عودته فى غير امل . وانما دفعه الى ذلك احداصدقائه المخلصين العارفين بفضله . المتحمسين لادبه . فكانت نصيحته حكيمةلانالكتاب قد نجح نجاحا عظيما بل دوىفى لندن من اقصاها الى اقصاها دوى القنبلة . ولمع فى جوانبهالمعان البرق . فعلا اسمه وذاع صيته . وعمت شهرته . وعرفت انجلترا كافة ان السماء

---

(١) انظر صفحة ٢٩ ومابعدها من كتاب « ابطال العالم» تعريب المغفور له الاستاذ محمدالسباعى

قد منحتها شـاعرا من اقدرشعراء الدنيا اخلدهم على الزمن
ولم يكد ذكر « بيرون » يذيع حتى افتتن بمجده من السيدات والاوانس اضعاف من افتتن بجماله بالامس فأخذت الكثيرات من نساء الطبقات العالية يتهافتن على حبه ويتنافسن فى ارضائه والوقوع من نفسه موقعا حسنا وكان كل ذلك يمر و « بيرون » تائه فى بيداء العجب والدلال · ثمل بخمرة المجد والانتصار توجه اليه البسمات من اجمل الثغور · والقبلات من احلى الشفاه · وهو عن كل ذلك لاه بتلك الافواج التى كانت تغمره فى كل يوم من رسائل الاعجاب والتقدير · ومن عبارات الثناء والاجلال · ومن هؤلاء السيدات اللواتى تدلهن بحبه : « الليدى كاترين لامب » وكانت صاحبة ارقى المنتديات الادبية والاجتماعية فى لندن · وكانت محبوبة · بل معبودة لامن زوجها فحسب · ولكن من كل من تقع عليها عينه من غير استثناء · فصرفت النظر عن كل اولئك المتفانين فى حبها · وشغفت بذلك الكوكب الذى بدأ يتلالا فى سماء لندن فاعارها لفتة قصيرة فى مبدا الامر · ثم لم يلبث ان اغضى عنها وتركها تقاسى الآلام والاحزان من جراء هجره وجفائه · ومن هؤلاء السيدات اللواتى اغرمن ببيرون « الليدى اكسفورد » التى ان كانت تكبره بعشرة اعوام · فانها كانت رشيقة ذات محيا جميل وطلعة بهية وقوام فاتن · وفق ذلك · فقد كانت تشتمل على انوثة نادرة وخفة روح معدومة النظير · وهذه الميزة هى التى حببتها الى قلب « بيرون » وجعلته لايسلك معها سبيله الاعتيادية من التنقل بازاء النساء تنقل النحلة من زهرة الى زهرة
ومنهن ايضا السيدة « كارولين » التى بلغ بها الوله والدله فى حبه حدا يوشك ان يكون جنونا · فخشيت احدى قريباتها عاقبة هذا الهوى والاندفاع فى تيار العاطفة الهوجاء · فاشارت على « بيرون » بالزواج من الانسة « ايزابيل ميلبنك » وهى فتاة ذكية · مستنيرة على جانب من الثراء لابأس به · فطلب يدها · فرفضت زواجها منه · بالرغم من انها كانت تحبه من اعماق



قلبها حبا شديدا . لانها كانت متخوفة من عناده وقسوته وصراحته وطيشه وكبريائه . فانجرحت عزته . وكبر عليه ان ترفض سؤله فتاة عادية كهذه الآنسة فاغضى عنها اغضاء تاما . وفى هذا الوقت كانت اخته « اوجوستا » قد غضبت من زوجها . فلجأت اليه ونزلت فى منزله بلندن فزادت علاقتها باخيها متانة وقوة . ولكنها أشارت عليه بأن يتزوج وأعادت الى نفسه هذه الرغبة بعد تناسيها واستنصح صديقته المسنة التى اشارت عليه بالزواج فى المرة الاولى . فنصحت له ان يعيد الكرة على الفتاة التى رفضت يده ففعل . فقبلت وتم الزواج . ولكنه لم يكن زواجا سعيدا ولا موفقا . اذ لم يلبث الشاعر ان ارخى العنان لخياله وعناده وطفولته وكبريائه . فثارت ثائرة الزوجة وهاجت عواطفها ولم تقو على احتمال شياطينه الكثيرة المتنوعة . فلما رآها على هذه الحال من الثورة والهياج . زاد فى عناده وضاعف اغاظتها . فسقطت بين براثن المرض وعجزت عن القيام بواجب المنزل . فاقترحت على زوجها ان يدعو اخته . لتشرف على ادارة شئونه ولكن هذه الاخت لم تكد تنزل عند اخيها حتى رات الزوجة دلائل محبتهما النادرة وعلائم وفائهما المنقطع النظير ماثلة للعيان . فهاجمت الغيرة صدرها مهاجمة عنيفة . فلما رأى « بيرون » ذلك منها افرط فى ابداء عواطف المحبة نحو اخته . وهو يعلم انها تغيظها وتحنقها . فجن جنونها . وطار طائر الصواب من راسها . فغادرت المنزل الى بيت أسرتها . وهناك شنت عليه الغارة ورمت حبه لاخته بما يتناقض مع الاخوية تمام التناقض وهكذا شأن المراة اذا اهينت فى غرورها . انقلبت وحشا ضاريا لا وفاء عندها ولا اخلاص . بل لا خلق ولا نزاهة

ومهما يكن من الامر . فقد شوهت هذه السيدة المحنقة سمعة هذين الاخوين الا فى نظر العقلاء المهذبين الذين لفظوا هذا النبأ فى شىء عظيم من الاهانة والاحتقار . وحملوا على مذيعيه حملة قاسية ورموهم بالتسفل والنذالة اللذين لا حد لهما . اما الحقيقة التى لا جدل فيها ولا نزاع . فهى ان هذا الحب الاخوى كان نبيلا غاية النبل . مقدسا اعظم التقديس . بل كان

يعد المثل الاعلى للحب الافلاطونى كما شهد بذلك كل العقلاء النزهاء من معاصرى « بيرون » وقد صور الشاعر حبه لاخته فى تلك القطعة الخطيرة . المعنونة « عروس عبدون » وهى قصة شعرية فاتنة . بطلاها اخوان كانهما ملكان . يحب كل اخاه حبا نبيلا طاهرا لاعهد للبشرية به الا فى النزر اليسير من الحالات السامية . ومنشأ الواقعة التى صورتها هذه المقطوعة الشعرية الساحرة هو ان والد هذين الاخوين سليم وزليخة قد انب الشاب تأنيبا عنيفا قذف الى نفسه بالانقباض والتشاؤم . وقد شاءت المصادفة ان يتقدم الى الفتاة فى ذلك اليوم خطيب يطلب يدها . فحسبت ان هذه الخطبة هى مأتى انقباض اخيها فأرادت ان تطمئنه برفضها فراقه وقد جاء فيها مايلى :

« الى سليم ضع رأسك على صدرى ابرد بالقبل جبهتك . واطفىء بالعناق لوعتك حتى اثلج صدرك عناقا وضما . وانيم عينيك تقبيلا ولثما . اذن خابت لديك شفاعة الكلم المعسول . واخفقت عندك ذريعة اللفظ المصقول . انى اعلم ان لابى آونة غلظة وجفوة . وفيه تارة شدة وقسوة . ولكنك خليق ان تذكر ان لاختك عليك يد الدهر قلبا خفاقا . وحشا عليك طول الابد مقلاقا » الى ان قال « اتحسب ياسليم انى اطيق بعدا عنك او انى اقسم مهجتى بينك وبين غيرك او اشرك فى محبتى اياك سواك ؟ لاكان وقت يفرق بينى وبينك . وساعة تصرف فيه اعنة المطى عن كنفك . ولا والله ماكان عزر بل ليفرق بين روحى وروحك . وما كان ملك الموت ليقبضك دونى او ليقبضنى دونك . بل مثلما نحن الآن على ظاهر الارض ممتزجان فكذلك تحت التراب يمتزج منى ومنك الفؤادان . وفى الجنة او فى الجحيم يلتئم منا الروحان (١) ! »

بيد ان هذه الاشاعة السيئة التى اذاعتها عن الاخوين تلك الزوجة السافلة قد وجدت لها - بالرغم من افلاطونية حبهما وملائكيته - انصارا ومروجين من اعداء « بيرون » والحاقدين عليه . فتقزز هذا الشاعر العبقرى من انجلترا جميعها

---

(١) انظر صفحتى ١٥٨ و١٥٩ من كتاب « ابطال العالم ترجمة المرحوم الاستاذ محمد السباعى »

وغادرها سريعا الى فرنسا ثم الى ايتاليا • واخيرا عاد الى افريقيا ، ليدافع بكل ما أوتى من قوة عن حريتها المفقودة واستقلالها المسلوب • وليوفى بعض الشىء لبلاد « هوميروس » و « سوفوكليس » و « اوريبيديس » التى طالما احبها وكلف بها • فظل يناضل فى صفها حتى ثار به المستعمرون فغادر بلاد الاغريق الى احدى الجزر النائية واختفى فيها ريثما يستعد لاستئناف الهجوم من جديد للدفاع عن الحرية • المعنوية مجسمة فى ارض « يونان » ولكن المنية لم تمهله حتى ينفذ بغيته • اذ لم يلبث ان هوى بين انياب المرض الفتاك الذى انتهى بالقضاء عليه فى شهر ابريل سنة ١٨٢٤ وكانت سنه اذ ذاك خمسا وثلاثين سنة فانطفأ بموته أعظم السرج نورا واكثر المصابيح اشعاعا وبريقا • وقبل ان يغادر «بيرون» الحياة اوصى بالاكثرية الساحقة من ثروته لاخته « اوجستا »

واخيرا ينبغى الا نغادر هذا المقام الا بعد ان نعلن فى وضوح ان « بيرون » كان القبس العلوى الذى قذفت به السماء لتضىء بسناه البيئة الادبية فى القرن التاسع عشر فى اوربا • وان « فيكتور هوهو » زعيم المدرسة « الرومانتيكية » تأثر فى خياله واسلوبه بهذا العبقرى العظيم تأثرا ملموسا لايقبل الشك ولا يحتمل الارتياب •

وزارة الحربية والبحرية - سلاح خدمة الجيش

تقبل عطاءات بادارة سلاح خدمة الجيش بثكنات العباسية لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ١٩٥٣/٧/١٨ عن توريد الحلاوة الطحينية اللازمة للجيش وبعض الاسلحة عام ١٩٥٤/٥٣

ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من ادارة السلاح المذكور مقابل ٢٥٠ مليما يضاف اليها أربعون مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الخمسين مليما

٤٨٦٥

فيكتور هوجو

ان حياة « فيكتور هوجو » قدتجاوزت كل الحدود المألوفة لبنى الانسان فى جميع نواحيها ،وهذا شىء طبيعى لان « فيكتور هوجو » نفسه ليس شخصاعاديا ولكن ناحيتين من هذه الحياة الغريبة الشاذة تستحقان الدرس والعناية بنوع خاص : فأما الاولى ، فهى الناحية السياسية ، وأما الثانية ، فهى الناحية الغرامية وهى التى ستكون موضوع حديثنا فى هذه العجالة ، والتى سنحاول أن نطوف بها مسرعين دون أن نهمل منها شيئا يستحق العناية والالتفات

كانت حياة « فيكتور هوجو » الغرامية حادة أعظم الحدة ، عميقة أبلغ العمق ، ولكن ميزتها العظمى التى تحدو كل أديب الى الاهتمام بها ـ هى : انها كان لها على منتجاته النثرية والشعرية أثر بعيد ، وأنها مكنت هذه العبقرية النادرة من الظهور على مسرح الوجود فى ذلك الثوب القشيب الذى طالما بهر أنظار المعاصرين ، وخلب ألبابهم

يرجع ميل « فيكتور هوجو » الى جمال المرأة وافتتانه بها ، وانعطافه نحوها الى عهد الطفولة أو المراهقة حين سافر الى اسبانيا للمرة الاولى فى حياته وأقام بهازمنا مع والده الذى كان يقاتل اذ ذاك فى تلك البلاد ، فكان كلما دعاه أخوته الى اللعب معهم رفض سؤلهم ، وفضل الاقامة الى جانب شابة اسبانية جميلة كانت هناك على الاشتراك مع اخوته فى هذا اللعب اللذيذ المحبب الى قلوب الاطفال جميعا الا الشاذين منهم أمثال هذا العبقرى العظيم ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن الرغبات الحيوانية والميول المادية لم يكن لها أى أثر فى هذا القلب الشاب الطاهر المتكبر الذى أوحى

اليه كبرياؤه ألا يمنح الحب الاول الا لزوجته ، فصمم منذ حداثة سنه على أن يكون حبه واحداوأن تكون الفتاة الاولى التى يعلق بها قلبه هي زوجته الشرعية المستقبلة . وبالفعل لم يكد يختلط بالآنسة « أديل فوشيه »ابنة أحدأصدقاء أسرة « هوجو » حتى أحبها وكلف بها كلفاشديدا ، لانها كانت فى سن يماثل سنه ، وعلى أخلاق تشابه أخلاقه ، فامتزجت روحه بروحها واتصل قلبه بقلبها منذ بلوغهما العام الثانى عشر حين كانا فى أول الامر يجتمعان للتلهى واللعب ، ثم لم يلبث هذا اللهو أن تحول الى نزهات خلوية طويلة ثم الى غرام حاد عنيف ، ولكنهما لم يعرفا هذا الغرام ولم يشعرا به الا فى السادسة عشرة من عمرهما حين أصبحت هذه الفتاة شابة ناضجة ، حلوة التقاسيم . وسيمة الوجه ، سوداء الشعر ،عريضة الجبهة ترتسم على وجهها الطهارة والصفاء بأوسع ما فى هاتين الكلمتين من معان . أما عيناها السوداوان ، فقدكانتا مثلين من أمثلة الوداعة والسحر ، وان كان الجد والعفاف لا يفارقانهما لحظة واحدة . اما فمها فقد كان من تلك الافواه التى ان غادرتها الضحكة الفاتنة خلفتها البسمة الساحرة ، وكان محوطا بشفتين عنابيتين تغريان كل ناظر اليهما باللثم والتقبيل !

ولكن هذا الحب قدظل مكتوما الى ان صرح به « فيكتور هوجو » فجأة لحبيبته فى رسائله اليها ،اذ اصبح يوقعها بهذا الامضاء « زوجك » ولكن عقبات كأداء قاسية قد اعترضت سبيل هذا الزواج المتمنى من الشابين . واولى هذه العقبات الجدية هى رفض « والدة هوجو »زواج ابنهامن فتاة عادية لانها كانت تتوقع فى شى من الايمان ان نجمه سيتلألأ يوما فى سماء فرنسا . بل فى سماء اوربا كلها ، ففترت العلاقة بين الاسرتين ثم توترت واصبح الحبيبان لا يلتقيان الاتحت ستار الخفاء ، فآلمت هذه الحالة شاعرنا الشاب ايلاما شديدا .

ولما توفيت والدته واصبح فقيرا ، رأت اسرة الفتاة انه غير جدير بابنتها ، بيد ان « فيكتورهوجو » لم يكن يعرف اليأس

ولا القنوط . فظل يرى حبيبته أو زوجته كما كان يسميها رغم انف الحوادث الفينة بعد الفينة، وما زال يغالب الظروف ويقاوم الايام حتى فاز فى النهاية بارغام والديها على قبوله لابنتهما زوجا موفور العزة ، مرفوع الكرامة فى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٢٢ وكانت « اديل » من فضليات الزوجات الجليلات ، المعينات لازواجهن فى ظروف الالم والشقاء . واحسن ما كانت تمتاز به هذه الزوجة الوفية هو ثباتها امام عواصف الحوادث ومغالبتها كوارث الايام مثل زوجها الذى كان مثلا اعلى فى هذه المحمدة السامية .

لم يكد هذان الحبيبان ينعمان بالحياة الزوجية حتى فاجأهما الدهر القاسى بأرزائه — وما اكثر مفاجآته لهما — ورماهما بماحطم سعادتهما تحطيما شديدا، وقلب كيان هدوئهما وغبطتهما . أتدرى ايها القارىء ما الذى اصيب به هذان الشابان فى طليعة حياتهما العائلية ؟ كان لـ « فيكتور » أخ يدعى «أوجين» لا يقل عنه فى ذكائه وموهبته الشعرية، وكان قد أحب «أديل» زوجة اخيه من عهد طفولتها أيضا ، واغرم بها غراما يزيد على غرام أخيه : ولكنه قبر عاطفته فى عمق فؤاده ، وطوى كشح نفسه على ما يندلع فى داخلها من لهيب الوله الخالد الذى لا يستطيع كل ما فى الحياة من مناظر وملاه ان يأتى على شىء منه ، وانما تستطيع هذه العوامل الخارجية أن تقيم دونه ستارا يختلف كثافة ولطافة باختلاف الظروف المحيطة به ، فيخيل الى الناس ان هذا المغرم الموله قد سلا محبوبه ولفظه من قلبه . ولكن ما أشد ما تكون سطحية الناس فى هذه الحالة ، لانهم لا يعلمون ان نارا قوية تأكل ذبالة الفؤاد فى بطء وهدوء ، وسيظهر أثرها عند ما ينفد وقودها فتنتهى بانتهائه الحياة حينا ، ويختل ميزان العقل حينا اخر . وهذا الاخير هو الذى حدث «لاوجين» المسكين : لانه حين علم بحب أخيه « فيكتور » لهذه الانسة وبخطبته اياها ، صمم على انه يمحو شخصيته أمام أخيه محوا تاما فانسحب من الميدان دون ان يعلم به احد ثم جمع ذكرياته المريرة وآماله الخائبة ، وآلامه المبرحة وخزنها جميعا فى علبة

راسه المصدع تصول فيه وتجول وتغلى وتقذف بالشرر على مخه الناشىء حتى احرقته وافقدته قوة التعقل والتفكير وطار لبه وسقط بين براثن الخبل والجنون وهنا تحطم قفل العلبة وفتح غطاؤها على مصراعيه ، وظهر ماكان مكبوتا واتضح أمر هذا الحب الغريب الذى تجلت فيه التضحية بأوسع معانيها ، فلم يقو الزوجان على احتمال هذه الحادثة التى نغصت عليهما سعادتهما واحالتها الى لون قاتم من الوان التعاسة والشقاء ولكن الزمن بطبيعته يتتبع الاحزان والالام ويتحداها حتى يمحوها من صفحة الوجود ، وهذا هو الذى فعله بازاء تلك الحادثة المروعة ، فمازال يخففه ويعفها على هذين القلبين الشابين حتى اتى عليها تماما وصيرها احدى الذكريات المحفوظة فى خبر كان ، فلم يلبث بعد الزوجان ان استردا سعادتهما الاولى وسارا فى طريق الحياة الهادئة المرحة الفائضة بأنواع الفرح والهناء . فأما هى فكانت تستلهم من عينيه العطوفتين كل غبطتها وسرورها . اما هو فكان يستلهم من نظرتها الوديعة الساحرة التى تفيض بالطهر روعة بدائع قصائده وروائع مقطوعاته .

وهكذا أخذ المستقبل يبتسم لشاعرنا العبقري منذ ذلك الحين الذى جعل يعمل فيه بجد مستعينا بزوجته النشيطة المثقفة فنشر أول مجموعة من قصائده فى سنة ١٨٢٦ وهو الوقت الذى بدأت فيه المدرسة « الرومانتيكية » تستعد للهجوم على المدرسة « الكلاسيكية » فاختاره الشبان المجددون الذين يناصرون المدرسة الجديدة « فكتور » زعيما لهم فى حركتهم الهدامة فتولى قيادة [illegible] وعلم بها فى طليعة المعادين للمدرسة « الكلاسيكية » ومنذ ذلك أصبح منزله كعبة يؤمها كل الكتاب والشعراء من الشبان المجددين . وقد شاء له الحظ السعيد أن يكون انهدام المدرسة القديمة وإعلان انتصار المدرسة « الرومانتيكية » على يديه بل بتأثير مسرحياته العنيفة ، فلم تكد مسرحية « هرنانى » تمثل فى سنة ١٨٣٠ حتى رفعت

المدرسة الجديدة أعلامها رسميا فوق ربوع فرنسا . واذ ذاك تمت « لفيكتور هوجو » زعامة الادب الحديث وتوج اميرا للتجديد فى القرن التاسع عشر ، وشجعته على المضى فى الكتابة والتأليف فى جد ونشاط زوجته الثملة بخمرة الفوز والفخار على اترابها ونظيراتها اللواتى لم يقدر لهن ان يكن زوجات لمثل هذا العبقرى العظيم ، ولكن حنق الزمان على بنى الانسان وكيده لهم يحولان بينه وبين تركهم فى سعادة صافية دون ان ينغصها عليهم وان يبذل جهده فى تحويلها الى شقاء شامل وبؤس عميق وقد رأيت ان الدهر قد وجه سهامه المسممة الى هذه الاسرة وهى لا تزال فى ربيع حياتها الزوجية بسبب حادثة «اوجين» الشاب الذى جن غراما بتلك الفتاة الجميلة دون ان يدور له بخلد أنها ستصبح زوجة شقيقه فى هذه المرة ، فسهامها أحد وأقسى وابعد مدى واعظم نتيجة واقدر من كل حوادث الحياة على ايلام الزوجين والقائهما فى حضيض التعاسة والشقاء .

ومجمل هذه القصة هو ان « سانت بوف » الناقد العبقرى النادر المثال فى عصره كان يسكن بالقرب من هذه الاسرة السعيدة، فلما أن ظهرت الكتب الاولى « لفيكتور هوجو » كان « سانت بوف » أول من قدمها الى الناس وابان لهم قدرها ورفع من شأنها فى مقالات حارة قوية ، فكان من واجب « هوجو » ان يشكر له هذا التقدير العظيم فدعاه الى منزله فلبى الدعوة واخذ بعدها كل منهما يتردد على منزل صاحبه ، ولا يكاد نظره يقع على « مدام هوجو » ويفاتحها الحديث حتى يحس فى داخل نفسه انه معجب بها ، ولا يزيد فى أول الامر على ذلك شيئا ، ولما توطدت دعائم الصداقة بين هذا الناقد وبين الزوجين ، واستحكمت أواصر الصلة بينهم لم يتنبه « سانت بوف » الا على صوت قلبه الذى يعلن انه قد وقع اسيرا فى حبائل غرام هذه السيدة الشابة التى فتنته عن كل ما عداها فى هذه الحياة . أما هى فلم تكن تحس بشىء من هذا كله ، وانما كانت تحمل له فى قلبها صداقة بريئة طاهرة . ولما تبينت دخيلة قلبه، اجتهدت

فى أن تعزيه فى مصيبتهوتصرفهعن بغيته ، ولكنها سلكت الى هذه التعزية وسيلة مصوغةمن اساليب العواطف الراقية ، وافانين الرحمة العالية ، واعلنتاليه ان هذا هو اقصى ماتستطيع ان تمنحه اياه . بيد أن قوة«سانت بوف» اخذت تتضعضع امام سلطان الحب القاهر شيئاًفشيئاً حتى راى انه لا مناص له من الاعتراف بهذا الحبلفيكتورهوجو نفسه ، فاعترف له بكل ما يعتلج فى فؤاده من هيام ودله« بمدام هوجو » وكان المنتظر ان يثور « فيكتور هوجو » من هذا الاعتراف وان يفصم عرى الصداقة الوثيقة بينه وبين« سانت بوف » ولكنه لم يفعل شيئا من هذا ، بل تلقى ذلكالنبأ بشىء من الحزن الممض والالم الصامت ، واكتفى بان يطلب الى صديقه الابتعاد عن زوجته حتى لا تتجدد هذهالعاطفة غير النبيلة التى تفيض بالخطر على سعادتهم جميعا . فصمم « سانت بوف » على الانزواء فى مكان سحيق يحاول فيه دفن هذا الحب المجرم فى نظره هو قبل كل انسان ، ولكنزمام فؤاده ليس بيده ، فلم يلبث هذا الفؤاد الدامى ان جمح فجأةوحطم كل سلاسل المنطق والتفكير والوفاء لصديقه العزيز وظل يكاشف « مدام هوجو » بما يضطرم فى قلبه من لهيب حبهاالقوى الحاد الذى سيقضى على شبابه فى القريب العاجل ، فعزعليها ان يهلك هذا الشاب بسببها ، ولكنها أمينة وفيةلزوجها ، محافظة على عفافها ، فماذا تصنع اذن ، فى هذا الامرالذى هو اعقد من ذنب الضب كما يقول العرب ، واخيرا ، وبعدلاى مضن ونزاع داخلى قاس ، اعتزمت ان تكتب اليه رسائل ولكنها مفعمة بالهدوء والتعزية والنصائح النبيلةوالعظات الغالية ، والتذكير بالامانة والوفاء لا اكثر ولا أقل ، بيد ان زوجها لم يلبثأن تحول حزنه الاول الى غيرة عنيفة ذات أنياب حادة قادرةعلى تمزيق نياط الفؤاد فىسرعة وسهولة ، ففكر فى هذه الحالةالسيئة التى لا يمكن ان تدوم فلم يجد حلا أحسن من الحيلولةالتامة بين « سانت بوف »واسرة « هوجو » كلها وقد فعل ، فلميعد هذا الحب الوامق يلقى حبيبته ألبتة .

ولما علمت هى بان هذا الشاب المسكين سائر الى الفناء بخطوات واسعة من جراء غرامه بها من ناحية ، وان زوجها من ناحية اخرى قد بلغ من الغيرة حدا لا يحتمل معه ان تكتب زوجته كلمة واحدة الى شاب يهواها ويفتتن بها ، سقطت هذه السيدة النبيلة بين براثن الحيرة والارتباك ، فواجبها يحتم عليها الا تكتب الى شاب يسوء زوجها أن تكتب اليه ، وعاطفتها تدفعها الى عمل تظن انه انسانى ، وهو التسرية عن هذا الشاب الذى يموت بلا ذنب جناه . وفى النهاية خرجت منهزمة امام سلطان العاطفة التى انتصرت فى قلبها على الواجب المقدس ، فاستأنفت الكتابة الى هذا المحب المفتون ثم راق فى نظرها موقفها كريمة ، عطوفة ، معزية ، فتمادت فى الكتابة اليه ، ولكن ما تكتبه كان دائما من النوع الذى قدمناه والذى لا تشوبه اية شائبة مخجلة ورات انها ما دامت طاهرة وفية ، فان غيرة زوجها اصبحت غير شرعية ولا مبرر لها بالمرة ، ولكنه لن يقلع عنها كما أنها هى أيضا لا تستطيع ان تعدل عن تعزية هذا الشاب وابعاد الموت عنه بثمن لا يكلفها تضحية شىء من وفائها لزوجها ، فرات ان اسلم الحلول لهذه المعضلة ان تكتب الى هذا المحب المسكين تحت ستار الخفاء .

ما زالت السيدة « أديل » - كما قدمنا - سائرة على نهج الخفاء الذى سلكته مع زوجها ، وظلت تكاتب « سانت بوف » مكاتبة ملؤها العطف والصداقة والنصيحة وتتلقى منه رسائل مفعمة بالحب والوله حتى شعرت يوما فى داخل نفسها بسرور عميق لا تستطيع ان تعلله باكثر من انه نشأ فى فؤادها من أثر هذا الحب « الافلاطونى » الذى تقرأ قداسته صباح مساء فى رسائل « سانت بوف » الروائية الفاتنة واذذاك أحست أيضا بثقل الظلم والاستبداد اللذين يبدوان من زوجها دون داع ولا مبرر ، فشعرت بان هذا اضطهاد لها من جانبه ، وان العدالة والنزاهة تحتمان عليه أن يهجر هذا المسلك الاعوج الذى يصوره امامها وامام كل عاقل فى صورة الطاغية المتعسف ، وليس معنى هذا ان

« فيكتور هوجو » كان يرتاب في عفافها واخلاصها . كلا ، وانما هي الغيرة التي غلبته على أمره، وحالت بينه وبين التعقل المنطقي في هذه الحادثة ، فظل يقاسي الوان الالم واصناف العذاب من جراء تخيلاته المزعجة التي كان يتمثلها في هذه الصلة طائرة في عالم الشعر والاحلام ، وقد لبث على هذه الحال لا يهدأ له قلب ولا تقر له عين حتى عين «سانت بوف» أستاذا في « بروكسل » واذذاك فقط تنفس « فيكتورهوجو » الصعداء وأحس بان العبء الثقيل الذي كان على صدره قد بدأ يتزحزح بعض الشيء ولكن الانقباض الذي كان يستولي على نفسه منذ بدأت هذه العلاقة المؤلمة لم ينمح انمحاء تاما ، لانه كان لا يزال يتخيل ان « سانت بوف » سيخاطب زوجته من «بروكسل» وكان هذا الخيال ينغص عليه عيشه قليلا . والذي زاد الجو حلوكة والخطب ادلهماما ان « سانت بوف » رفض السفر الى « بروكسل » لانه قد بدأ يشعر بالانتصار في حبه ، بيد ان « فيكتور هوجو » قد ثار ثائره من هذا الرفض الارعن الذي نصب حول زوجته سياجا من الشكوك والاوهام ، فقر رأيه على ألا تقع عين « سانت بوف » على زوجته بعد اليوم ولو في مركبة مارة في الطريق ، وانذر بذلك المحب والمحبوبة في لغة صريحة قاسية لا تعرف هوادة ولا لينا . واذذاك أحس « سانت بوف » بمراجل الحقد والحنق تغلي في صدره على صديقه القديم لانه بهذا التصريح صدمه صدمتين قاسيتين :

صدمة الاهانة بطرده من منزله ؛ وصدمة الحيلولة بينه وبين حبيبته ، ولكنه مع كل ذلك لم ييأس من لقاء تلك الحبيبة ، واخذ يتحين الفرص لرؤيتها حتى كان يفوز منها ببضع لحظات يقضيها في التحدث اليها عن غرامه بها في احدى الكنائس من حين الى حين . وهذا هو أقصى ما ناله من هذه السيدة الوفية الامينة ، أو بعبارة أدق : هذه هي قصوى نتائج ذلك الحب العذري « الافلاطوني » كما يسميه مؤرخو الاداب الفرنسية

***

ليعذرنا القارىء اذا كنا قد أفضنا في الحديث عن غرام

«سانت بوف» و «مدام هوجو» فليست هذه الافاضة جمحة من القلم ولا نبوة من الكاتب ، وانما دفعته اليها الضرورة الملحة ، لان هذه الحادثة تتصل اتصالا وثيقا بما عاصرها وجاء بعدها فى حياة «فيكتور هوجو الغرامية» ولكننا سنقف بك عند هذا الحد من قصة « أديل » مع « سانت بوف » وستحدثك عن غرام «فيكتور هوجو» بـ «جولييت» الممثلة وأدواره معها فيما يلى :

فى اليوم الثانى من شهر يناير سنة ١٨٣٣ التقى « فيكتور هوجو » فى احد مراقص الفنانين بـ « جولييت » وهى شابة ممثلة فى السابعة والعشرين من عمرها حلوة التقاسيم ، نبيلة الملامح : لا تفارق البسمة ثغرها، ولا تغادر الطلاقة محياها . وكانت تقوم بدورها على المسرح فى نشاط وحماس يحببانها الى كل من يراها . وكانت قد التحقت بهذه المهنة تلبية لداعى الضرورة القاهرة ، لانها تيتمت وهى لا تزال فى ربيع الحياة ، وكانت تريد أن تعيش فهوت اثناء بحثها عن هذا القوت الى حضيض التعاسة واصبحت خليلة لاحد مشاهير الفنانين فى باريس ثم لشاب اخر من بعده واخيرا صممت بعد ان احترفت مهنة التمثيل تستسلم للتنقل الذى لم يكن يروق ميولها الفطرية النبيلة التى أرغمتها الصدمة الاولى على عصيانها . ولما كان المسرح الذى تعمل فيه قد عهد اليها تمثيل بعض الادوار فى احدى روايات «فيكتور هوجو» فقد رآها شاعرنا العبقرى تقوم خير قيام بفصوله ومناظره التى تعب فى تنسيق مبانيها ، واحكام معانيها وتمنى من كل قلبه ان يكلف المسرح من يجيد تمثيلها ، كما أجاد هو تاليفها . وقد وجد هذه الضالة المنشودة فى « جولييت » الرشيقة القد ، المشوقة القوام ، الخفيفة الروح ، فسرعان ما حلت من فؤاده فى مكان مكين اخذ ينمو مع الزمن حتى ملك عليه المسلك والزمام . أما هى ، فقد جذبتها فى الشاعر عبقريته وشهامته وكبرياؤه ، فسقط فؤادها أسيرا فى قبضة حبه ، لانها رأت فيه تحقيق خيالها الذى طالما حلمت به فى منامها

ويقظتها منذ زمن بعيد . والذى شجع « فيكتور هوجو » على اقتحامه ميدان هذا الحب الشاق المضنى، هــو انه كان يحس ان فؤاده لايزال يقطر دما من جراء عطف زوجته على محبها ـ سانت بوف ـ ورميهــا ـ فيكتور ـ بالوحشية والاستبداد ، فاحب ان يسرى عن هذا الفؤاد الكليم فأصغى الى صوت هذه الشابة التى تحوم حوله فى خفر واستحياء واجاب على عاطفتهــا الحادة بعاطفة اكثر منها حدة وحماسا لانه قال فى نفسه : ان قلب زوجتى قد انفصــل من قلبى وتركنى وحيدا دائها فى صحراء الحياة ، وما دام فؤادى عاجــزا عن ان يحيا وحيدا ، فما الذى يمنعنى من أن أرحب بهذا القلب المغرم الذى يعرض نفسه على عرضا ؟

ثم لبى دعاء هذه الشابة ومنحها من قلبه كـل ما يتطلبه سلطان الغرام من الحب الموتور للحبيب البرىء الجديد . وهكذا اصبحا حبيبين بكل ما تحمل هذه الكلمة الخطيرة من معان ودلالات. فسلمته هذه الشابة المسكينة حياتهــا وعقلهــا وعواطفهــا وفؤادها وجسمهــا واصبحت عن طيب خاطر لاتحس الا باحساسه ،ولا تشعر الا بشعوره ، ولا تفكر الا بمنطقه ، ولا تسير الا بارادته ، واعترفت له بما لحق بعفافها فى المــاضى من مخاز ومخجلات آملة أن يحمد لها صراحتها ، ويغفر لها زلتها ، ولكنه لم يفعل ، لانه شاعر لا يطلب بخياله ما هو دون المثل الاعلى سموا وارتفاعا .

فكان ماضى ـ جوليبت ـ المخجل الحزين يمر من حين الى آخـر فى صورة سوداء قاتمــة امام نور حبهما فيحول بين اشعته الخالدة المتلالئة وقلب الشاعر المتوثب الطموح فيرمى حبيتــه بالفاظ جارحة وعبارات مهينة ينفطـر لها قلبها البائس ، وتذوب منها حبات فؤادها المحزون فلا تجد هذه المسكينة امامها الا الدموع تذرفها حارة سخينة ، والزفرات تصعدها ملتاعة مكتئبة ؟ وهذا هو كل ما تملك المرأة الضعيفة من اسلحة النضال ، واخيرا، وبعد لاى شــديد عفا شاعرنا عن سقطات عشيقته ، وغفر لها كل ما يتعلق بماضيهــا . واذ ذاك اصبح حبهما رباطا مقــدسا لا تشوبه شائبة ، ولا تعكر صفوه اهانة ولا تأنيب ، وقد اضحت منذ ذلك الحين ـ امبراطورة ـ قلبه ومعزيته الوحيدة على نكبات

الدهر وكوارث الايام ، واخذا يتساقيان - اذا اجتمعا - كؤوس الحب مترعة صافية ، ويتبادلان - اذا افترقا - رسائل الوجد حادة ملتهبة ، وفى ذلك الوقت كتب - فيكتور هوجو - اجمل ماله من قصائد ومقطوعات. وكان يقسم ايامه الى شطرين يقضى أحدهما فى منزلة الشرعى بين زوجته واولاده الودعاء الهادئين ويمضى الثانى بين ذراعى هذه العشيقة المغرمة الوالهة

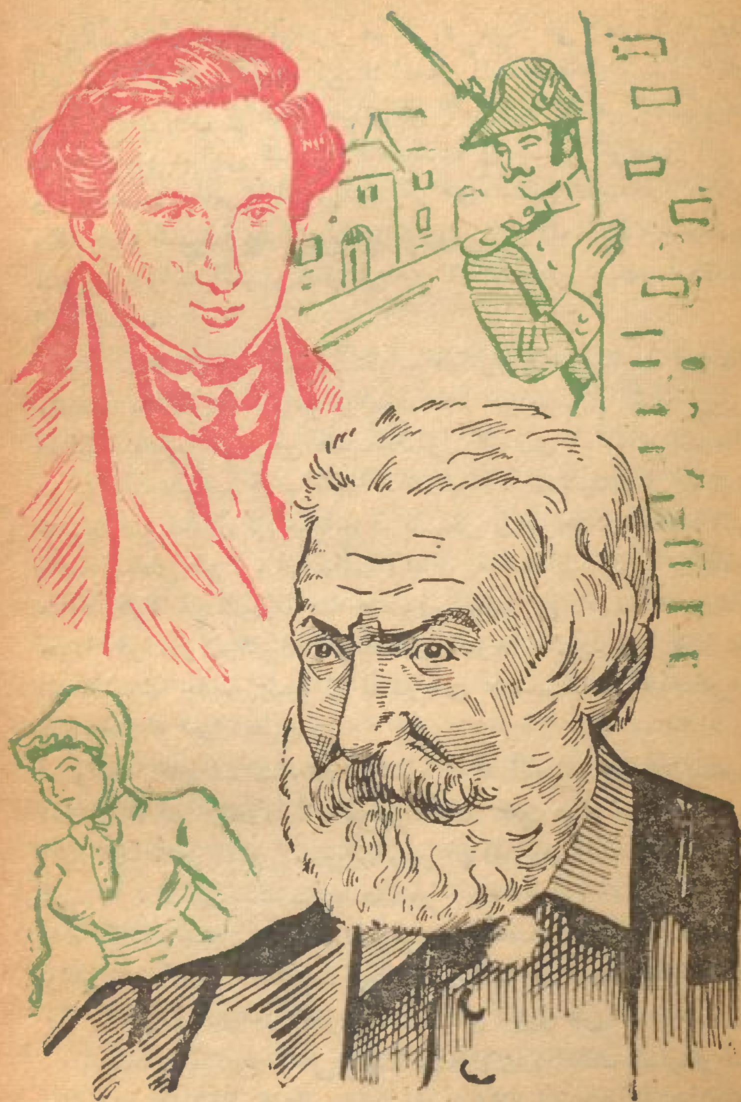
ولما علمت زوجته بنبأ هذه الصلة المخجلة ، انكسر قلبها وتملكتها الخيبة ، واستولى عليها اليأس المضنى ، ولكنها احتملت ذلك صابرة مستكينة ، وظلت عاكفة على تربية ابنائها فى هدوء يشبه سكون اهل القبور ، وهبت تحمل فى قلبها لهذا الزوج الخائن آيات الوفاء والاخلاص : اما هو فقد انطفأ سراج حبها من قلبه ولم يعد يحمل لها غير نوع من المجامله العادية التى توجد فى قلوب الاصدقاء الثانويين

ولما جرحت هذه السيدة فى عزتها بخيانة زوجها اياها ، فقد سمحت لـ - سانت بوف - ان يراها علنا من حين الى حين ، واخذت تصغى الى صوت قلبه المغرم وتعطف على دموعه السخينة وتعمل بنصائحه المطلقة لآلامها ولم يتعد ذلك عند الاغلبية الساحقة من مؤرخى الادب الفرنسى ، اما الاقلية الضئيلة منهم فانها ترى ان السيدة - اديل - قد سلمت جسمها الى - سانت بوف - فى ايام محنتها . ويستندون فى ذلك الى تلميحات وردت فى صحائف كتبها - سانت بوف - نفسه وان كان حين سئل عن ذلك نفاه نفيا باتا ، واقسم بكل محرجة من الايمان ، وأكد بكل مقنعة من الحجج انه لا يقصد بهذه الصحائف - مدام هوجو - وانما يقصد غانية اخرى. وهكذا ترك الناس بين مصدق ومكذب

ومهما يكن من الامر ، فان - مدام هوجو - بالرغم من خيانة زوجها اياها ظلت ساعده الايمن الذى يعتمد عليه اعتمادا عظيما فى حياته الادبية ، وبقيت كلفة كما كانت بمجده وفخاره تتباهى تيها وعجبا بكوكب عظمته الذى اخذ يتألق فى سماء فرنسا

واما - جولييت - فقد اثرت ان تعيش فى الظلام ، لانها كانت تريد ان تتجنب الاختلاط بالناس خوفا من ان يجرحوها فى شعورها بذكر شيء من ماضيها أو حاضرها ، فرغبت فى العزلة وفضلت ان تكتفى برؤية حبيبها الشاعر وبالسفر معا الى بعض المدن والقرى الفرنسية للنزهة والهدوء فيها روحا من الزمن من حين الى حين . وكانت - اديل - كلما علمت بنبأ هذه الاسفار السعيدة المحسودة ، امضتها الغيرة واقضت مضجعها هذه الاهانة الصريحة الموجهة اليها من زوجها ، اما هو فكان سعيدا بهذه الرحلات التى كانت تمكنه من الاختلاء بحبيبته الفاتنة، ولكنه بينما كان ناعما باحدى تلك النزهات ، فاجأه نبأ وفاة ابنته الكبرى غريقة مع زوجها وكانت أحب أبنائه الى قلبه وأعزهم على نفسه ، فترك موتها فى فؤاده جرحا لا يندمل ، وفى مزاجه حزنا لا تخف وطأته . وبالرغم من ان حبه لـ - جولييت - كان لا يزال فى عنفوانه ، فقد وقعت له حادثة غرام جديد مع سيدة اخرى تدعى : - مدام بيار - ولكن صلته بها لم تدم طويلا ، لانه لم يلبث ان هجرها وعاد الى حبيبته - جولييت -

وفى سنة ١٨٥١ كان الحبيبان على أتم ما يكونان صفاء ووئاما ، بل كانت عواطفهما الغرامية فى قوة لم يريا لها نظيرا . وفى هذا التاريخ عينه استولى - نابليون - الثالث على الحكم واذ ذاك ، هب - فيكتور هوجو - مدافعا عن الحرية ولم يقف فى صفوف الشعب فحسب ، بل كان فى طليعة الداعين علنا الى الثورة والهياج وامر - نابليون - بقتله و وكل السائرين على خطته الثورية ، ولما علمت - جولييت - بهذا النبأ طار من راسها طائر التعقل والاتزان ، فخرجت هائمة على وجهها تذرع شوارع باريس طولا وعرضا مدى ثلاثة أيام كاملة والغم والحزن يعسكران فى انحاء قلبها الملتاع ، وفى نهاية اليوم الثالث ظفرت بهذا الحبيب العزيز فأخفته عن اعين الناس جميعا ، ونجته من الموت المحقق فكان مدينا لها بحياته كما كان الادب الفرنسى مدينا لها بتلك المؤلفات الخالدة التى انشأها - فيكتو هوجو - بعد هذه



الحادثة ، ولولا نشاط ـ جولييت ـ ووفاؤها لحبيبهـــا ، لما نعمت ولقـــد سـجل ـ فيكتــور النفيسة .

ولقـــد سجل « فيكتور هوجو » نفسه فى أحد كتبه هذه اليد البيضاء التى انقذته من ذلك الخطر المحقق فقال : ـ اذا كان لاحد فضل على فى انقاذ حياتى من الاعدام فانما هو للســيدة ـ جُولييت ـ التى شقيت شقاءً مضنيا فى سبيل الوصول الى ، وانا فى معمعان المعركة الثورية ولم يكن من السهل الاهتداء الى مكانى ولكن هذه السيدة قد استعملت كل الوسائل الممــكنة وخدعت المخبرين والجواسيس ومكنتنى من الاختفاء عن اعينهم اليقظـة الحريصة .

وفى سنة ١٨٥٢ اســتقر ـ فيكتور هوجـــو ـ فى منفاه ولحقت به اسرته ، واتخذوا لهم مسكنا متواضعا فى تلك الجزيرة النائية ، وعلى القرب من هـــذا المنزل الاسرى ، كانت السيدة ـ جولييت ـ تقيم فى ـ فلتها ـ الصغيرة ، تســتطيع ان ترى حبيبها على بعد فى كل صباح وهو يشتغل فى غرفته الزجاجية التى كانت فى اعلى منزله ، اما فى المساء فكان يذهب الى منزلها ، ليقضى عندها طرفا من الليل وحده حينا وفى جمع من اصدقائه وابنائه حينا اخر . وكان كثيرا ما يخرجان الى النزهة منفردين ، فاذا عاد الى المنـزل جلسا يقـرآن تارة ويملى عليهـــا شعره او نثره ، لتنسخه له تارة اخرى

وهكذا كان لـ ـ جولييت ـ او الملاك الوديع كما كان يسميها الفضل الاكبر والمعونة العظمى فى اعـداد كثير من الكتب الرائعـة التى ظهرت فى المنفى . وبالرغم من ان المنزلين كانا متجاورين فان السيدة . ـ جولييت ـ لم تذهب مرة واحدة الى منزل الاسرة ، لانها كانت تشعر بشىء من الخجل يمازج نفسها من هذه الجريمة وقد دعتها الســـيدة ـ اديل هوجو ـ فى احد الايام بخطاب مؤثر ، لتزورها فى منزلها فرفضت لانها لم تجرؤ على الذهاب

ولما عاد ـ فيكتور ـ الى فرنسا سنة ١٨٧١ كانت الشيخوخـة والحزن قد اثقلا كاهله وحطما قوته ، لان زوجته كانت قد ماتت

منذ سنة ١٨٦٨ وكذلك اولاده الكبار فلم يبق له الا طفلان صغيران من انتاج الشيخوخة فظل يساكن السيدة - جولييت - المقيمة على حبه والوفا له حتى قضيا نحبهما فى سنة ١٨٨٢ ، وكأنما كانا على موعد ، فقد سبقته الى العالم الاخر بعشرين يوما حيث غادرت - جولييت - الحياة فى اليوم الحادى عشر من شهر مايو ، ولحقها هو فى اليوم الثلاثين من ذلك الشهر

مسرحيات فيكتور هوجو

ليست محاولتنا بسط الناحية المسرحية من نواحى - هوجو - فى هذا الفصل ناشئة عن كون هذه الناحية اقوى نواحى ذلك الكاتب العبقرى والشاعر المبدع كلا ، فهى ، اضعف نواحيه وابعدها عن مواطن العبقرية والخلود . وانما اردنا ان نمر هنا بهذا الجانب لاننا نعالج المدرسة الرومانتيكية التى يعتبر ادب هوجو المسرحى فى طليعة منتجاتها ولهذا نحن سنقتصر على نقد ذلك الجانب من جوانبه المترامية الاطراف .

تتلخص هذه الدرامة فى أن الشاب ديديه يحب الفتاة « ماريون ديلورم » على غير علم منه انها خليلة « ريشيليو » . وبعد ذلك يدخل هذا الشاب فى مبارزة مع احد خصومه على الرغم من امر « ريشيليو » بتحريم المبارزة فيأمر هذا « الديكتاتور » بالقبض عليه . ولكن حبيبته تسهل له طريق الخروج ، فاذا خرج من السجن علم ان هذه المحبوبة تخدعه وانها خليلة لـ « ريشيليو » فلا تقبل نفسه ان تنجيه من السجن امرأة ساقطة ، فيسارع الى تسليم نفسه للقضاة ، بيد ان هذه المحبوبة تسعى حتى تستصدر أمرا من الملك « لويس الثالث عشر » بالعفو عنه ، ولكن « ريشيليو » يعود فيستعمل سلطته التى لا تحد ، ويستصدر أمرا اخر من الملك باعدامه ثم ينفذ فيه هذا الحكم بعد ان يغفر لـ « ماريون ديلورم » خديعتها

واهم ما تمتاز به هذه الدرامة هو ان بعض فصولها مؤثر كل التأثير ، والبعض الاخر غاية فى الفصاحة والبلاغة ، وانها تحوى

صورا فاتنة ، ولوحات ساحرة ، اما الحقيقة التاريخية فقد خنقت فيها خنقا قاسيا لا رحمة فيه ولا اشفاق ، على ان « فيكتور هوجو » ليس هو الوحيد الذى اساء الى الحقائق التاريخية عامة ، والى « ريشيليو » خاصة ، بل ان كثيرا من كتاب هذا العصر قد نهجوا هذا المنهج المعيب كما سنوضح ذلك فيما بعد عند حديثنا عن بقية زعماء المدرسة الرومانتيكية .

هيرنانى

ظهرت هذه الدرامة على مسارح باريس للمرة الاولى فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٣٠ وكان يوم ظهورها يوما مشهودا ، لان المعركة الفاصلة التى انتصرت فيها « الرومانتيكية » على « الكلاسيكية » قد حمى وطيسها ، واشتعل لهيبها المدمر منذ هذا اليوم

ومن أراد أن يرى هذه المعركة فى صورتها الفاتنة فليقرأ ما كتبه عنها « تيوفيل جوتييه » فى كتابه « تاريخ الرومانتيكية »

لهذا كله كان تاريخ ظهور « هيرنانى » يوما مشهودا ، لانها كانت اولى الدرامات التى فازت برضا المسارح والجماهير فى ذلك العهد . وتتلخص هذه الدرامة فى ان « هيرنانى » وهو احد امراء اسبانيا فى القرن الثامن يلتحق بعصابة شريرة ليتمكن من تنفيذ رغبته فى الانتقام من الملك وكان هذا الامير الشاب يحب فتاة تدعى « دوناسول » وكانت مخطوبة لدوق شيخ ، فيتخفى هذا الشاب ويذهب فى صورة احد الغرباء ليرى حبيبته ، وبعد ان يتم له ما يريد يظهر شخصيته للدوق ، فينجيه هذا الاخير من الملك ، ولكن بعد ان يأخذ منه وعدا بأنه لا يتأخر عن الانتحار فى اليوم نفسه الذى يأمره فيه « الدوق » بمفارقة الحياة ، وبعد ذلك يعفو عنه الملك ويرد اليه جميع القابه وحقوقه التى سلبه اياها ، وليس هذا فحسب ، بل يأمر بأن تسلم اليه حبيبته ليتزوجها فيفعل ، ولكن الغيرة تأكل قلب « الدوق » فيصمم على ان يأمر الشاب بالموت فى يوم الزواج نفسه ، ولا يتطلب ذلك منه اكثر من ان ينفخ فى الصور ، فلا يسمع « هيرنانى » حين يسمع صوت

الصور الا أن يوفى بوعده ويبادر الى شرب السم وتتبعه زوجته فى ذلك فيموتان لساعتهما ، ثم يجىء « الدوق » فينتحر بدوره الى جانبهما . وتمتاز هـذه الدرامة ببعض فصولها القوية الفاتنة كما تمتاز بأن الملك فيها يشبه فى خيريته وتسامحه « اوجوست » فى مأساة «سينا» لـ (كورنى)

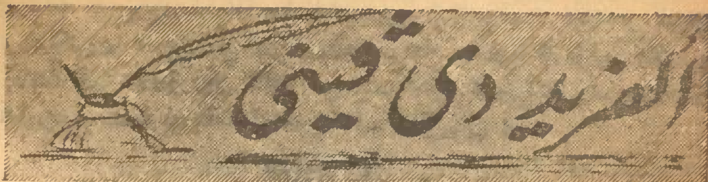
الملك يلهـو

تتلخص هذه «الدرامة» فى ان احـد ملوك فرنسا ــ وكان ماجنا فاجرا لا خلق له ولا ضمير ولا يعرف من امور الدنيا اكثر من ارضاء رغباته واشباع شهوته ــ له نديم من النـوع المسف ، ولهذا النديم ابنة جميلة فاتنة فيحبها الملك ويحاول الاستيلاء عليها ، ويساعده ابوها على ذلك دون ان يقصد هـذا العمل او يتنبه اليه ، وبعد أن يتم كل شىء وتصبح الفتاة بين ذراعى الملك يفيق الرجل من غفلته ، ويصمم على الانتقام لشرفه من هذا الملك المعتدى ولكن الفتاة تكون قد هوت فى فخاخ حبه فتتبهه الى ما يريده به أبوها من شر ، ولا تكتفى بهـذا . بل تتزيا بزيه وتجلس فى مكانه لتتلقى طعنة والدها بالنيـابة عن حبيبها ، ويحدث ذلك بالفعل . فتقتل هذه الفتاة المسكينة بدل عشيقها الماجن المعتدى ، وبطعنـة من والدها الغافل الابله . فتكون صورة الفتاة فى الدرامة مثلا من التضحية . وصـورة والدها نموذجا من نماذج الغفلة المسفة المضحكة ، وصورة الملك رسما من رسوم الانانية البغيضـة . ويرى النقد البرىء ان هـذه الدرامة قـد اشتملت على شىء غير قليـل من التكلف المذهبى الذى حال بينها وبين ارضاء الفن فى عدة مواقف

مصلحة السجون

اعـــلان مناقصـة

تقبل عطاءات لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١١ يوليو سـنة ١٩٥٣ عن توريد زيت جوز هند وشحم حيوانى او نباتى صناعى وصودا كاوية . ويمكن الحصول على الشروط مقابل ٢٠٠ مليم تضاف ٣٠ مليم اجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة خمسون مليما ٤٨٥٧



سوف لا احدثك هنا عن شاعر عادى كل ماله من ميزة انه يصوغ القريض فى عبارات عذبة ومعان رصينة ونظم موسيقى أخاذ كما هى ميزة الشعراء الموهوبين ، ولكنى سأمر معك بشاعر امتاز بأفكاره الفلسفية امتيازا لا يقل عن امتيازه فى الشعر الفنى . ذلك هو « الفريددى فينيى » الذى لم تعرف فرنسا مثله شاعرا منح من المواهب الشعرية ما يمكنه من ان يمزج بها الافكار الفلسفية العويصة مع الاحتفاظ بطابعها الشعرى وجمالها الفنى ، ورنينها الموسيقى . « الفريد دى فينيى » الذى جمع قوة المعانى الى متانة المبانى ، وضم عمق التفكير الى سحر الاسلوب وفتنه التركيب . ألفريددى فينيى الذى كان اسمى من ان ينحصر فى دائرة مذهب من المذاهب الشعرية واكبر من أن يقيد نفسه بأغلال «الكلاسيكية» وارفع من ان يضع شعره الى أنانية « الرومانتيكية » ألفريددى فينيى الذى انتقى من كل شىء اصفاه وارقاه واتخذه له شرعة ومنهاجا يصوغ شعره على نسقهما ، «الفريددى فينيى» الذى اغتذى بأدب الهيلين ، فعلا الفكيره وسما خياله وصفت روحه حتى صارت ترى ان الارض لم تعد جديرة بسكناها ، فطارت الى جبل « الاولامب » لتقيم على قمته الى جانب « أبولون » ، و « اتينيه » و « أرتيمس » ، وارواح : هومير وهيزيود ، وسوفوكل و « أوربيد » حيث عالم الصفاء والنقاء والخلود

حيـــانه :

ولد « الفريد دى فينيى » فى ٧ مارس سنة ١٧٩٧ من اسـرة مستمتعة بلقب النبل • وكانت امه قد وهبت ميزات جسمية وخلقية لافتة للنظر ، فورث منها هذا الغلام جمال ذلك الوجه الذى كان الناس فى عصره يسـمونه بالوجه الملائكى كما ورث منهـا ذلك الخلق النبيل وتلك الشـيم الوديعـة •

ولما آنست منه اسرته الاستعداد الى بدء الدراسـة المنظمة ألحقته باحـدى المدارس فى باريس ، فاشـتهر وهو فى دور التعليم الابتدائى بالنشاط والاجتهـاد والصبر على العمل • ولكنه قـد رمى ايضا بالتشـاؤم والانقباض من مبدا حياته ، ولعل علة هـذا هى الحساسية المغالية التى كانت مستولية من نفسه على كل شىء حتى انه كان يخيل اليه ان كل ما حوله جارح لعزته مهين لكرامته •

بيد ان هذه الحساسـية لم تيئسه من الحيـاة العملية ولم تقعد به عن الاشتغال بما يضـمن له مكانتـه الاجتمـاعيه ، ففى السنة السادسة عشرة من سنه التحق بالجندية كما هى عـادة الاشراف ثم لم يلبث ان اصبح ضابطا فى الجيش الامبراطـورى ولكن شاعرنا لم يدم طويلا فى هذه الخدمة العسكرية ، لانه لم يكد يعلم بنبأ سـقوط « نابليون » حتى فقد كل امله فى هذا السلك لانه كان لا يقبل ان يعيش ضابطا خملا كبقية ضـباط الجيش ، وانما كان يريد ان يكون ضابطـا ممتازا يسمو به نشاطه وأخلاقه الى اعلى المراتب وارقى الدرجات • ولما كان هذا التقدير فى رأيه قد اندثر بهزيمة « نابليـون » فقد اسقط فى يده واخفقت اماله وصوب نظراته نحـو الادب ولاسيما الناحية الشعرية منـه •

وفى سنة ١٨٢٢ نشر اول مجموعة من شعره ، فكان حظها الخفوت والاخفاق : بل قد قيل عنها انها مرت بالبيئة الادبيـة مرورا لم يلمحها فيه أحـد ثم اختفت كأنها لم تكن فلم يقنط الشاعر الشاب من هذه النتيجة السـيئة وظل يعمل فى جد ونشاط على تحسين شعره ، غير وجل ولا هياب • وفى هذه السنة عينها اتصل اتصـالا ادبيا بـ « فكتور هوجو » فكان ذلك عاملا من عوامل شهرته ورفع

اسمه ، اذ عرف منذ هذا الوقت لدى كثير من الاوساط الادبية بل اعلن بعضهم ان الاقدار قد اتت حديثا بعضو نافع للمدرسة « الرومانتيكية »

فى سنة ١٨٢٣ سافر الى أسبانيا مع الجيش الذى كان قد بعث الى تلك البلاد · ليعيد ملكها الى عرشه وليهدىء تلك الثورة العنيفة التى كانت قد اشتعل اوارها هناك كما اخذ ذلك لويس الثامن عشر على نفسه فلما وصل الى وادى « رونسوفو » علم ان مهمة الجيش قد انتهت وان الملك قد عاد الى عرشه فلم يجد صاحبا ما يعمله فتابى بتأليف قصيدة ذكر فيها حادثة قتل « رولان » ابن شقيق « شالمانى » الذى قتل فى هذا الموضع عينه · بوساطة خيانة احد ضباط جيشه فجاءت هذه القصيدة غاية فى السحر والفتنة وظلت تعد من اعيان منتجات « الفريد دى فينيى » الى وقتنا هذا · وعنوان هذه القطعة « الصور » ـ « النفير » ، وقد لحنت فى قطعة موسيقية لا تزال الى الان تجرى على اعذب الالسنة كما يجرى بها أفتن الآلات والاوتار

وفى سنة ١٨٢٦ نشر كتاب « القصائد الاثرية والعصرية » ، وهو يحتوى على عدد غير قليل من القصائد الفاتنة مثل قصيدة « موسى » وهى تحوى فكرة قيمة من الافكار الاجتماعية ، ملخصها : ان العبقرية تهيىء صاحبها دائما الى العزلة والالم · وقصيدة « الوذ » والفكرة التى رمى اليها هى : ينبغى الاشفاق على الاثمين · وكقصيدة اخرى أشاد فيها بالادب الاغريقى اشادة عظيمة وعنوانها « هيلينا » وقد نشر ايضا فى هذا الكتاب قصيدة النفير التى حدثناك عنها

وفى نفس السنة نشر رواية تاريخية قيمة على نهج مؤلفات الكاتب الانجليزى الشهير « والتر اسكوت » مؤلف رواية « ايفانويه » وهى من احسن ما انتجت الاقلام الانجليزية وقد تناول « الفريد دى فينيى » فى هذه الرواية تاريخ احدى المؤامرات الخطيرة التى وقعت فى عهد « لويس الثالث عشر » وكانت ترمى الى خلع « ريشيليو » الوزير الطاغية المعروف ومن مميزات هذه



الرواية انها كتبت بأسلوب نقي رصـين . ولكنها من الناحيـة التاريخية لم تكن نزيهة كل النزاهة لان مؤلفها قد صور «سان مارس» المتآمر بصورة ملائكية لا تتفق مع الواقع كثيرا ، وكان ذلك على حساب « ريشيليو »

وفى سنة ١٨٢٧ اصبح شاعرنا الشاب من اشهر اعلام المدرسة الناشئة واستقال من الجنـدية وفى هذا العام نفسه قد وقعت له حادثة غرامية قصيرة . موجزها انه اتصل بسـيدة من كبريات اديبات فرنسا فى ذلك العهـد وهى السيدة « ديلفين جيـه » التى اشتهرت بعبقريتها وجمالها . . وسرعة خاطرها وكانت تلقب بـ « ملهمة الوطن » وكانت هذه السيدة قد احبت احـد كتاب العصر المعروفين وهو « اميل دى جراردان » فلم تصغ الى عواطف « الفريد دى فينيى » واهملتـه اهمالا تاما فلم يضعف وعمل على نزع هواها من قلبه فوصل الى نسيانها نهائيا

وفى سنة ١٨٢٨ تزوج بفتـاة انجليزية تدعى « ليديا بون برى » وهى من اسرة ماجدة نبيلة وظلت معه حتى الموت ولكن هذا الزواج لم يكن موفقا ولا سـعيدا . لان الزوجين لم يـكونا متفقـين فى الميول والاهواء من ناحيـة ولان « الفريد دى فينى » لم يكن امينا لزوجته من ناحية اخرى . والذى ضاعف مجد شاعرنا هو انه فى الوقت الذى نشر فيه قصـيدته الشهيرة « موسى على الجبـل » التى حدثناك عنها نشر « فيكتور هوجو » قصيدة تحت عنـوان « موسى على النيل » وكانت الثانية الى جانب الاولى كالنجم الى جانب القمر فى ليلة تمه ، فظهر الفرق واضحا بين العبقريتين الناضجة والناشئة .

ومنـذ ذلك التـاريخ سما « الفريد » الى اعلى المنازل الادبية فى نفوس الجميع واستحق الاجلال من الكبير والصغير الى حـد أن « سانت بوف » النـاقد العظيم كان يدعـوه « الالهى او الطـائر النقى » . وفى هذا العهد عينـه بدأ اوار الحـرب يشـتعل بين المدرستين « الكلاسـيكية » و « الرومانتيكية » وكان طليعة

جيش الثانية « فيكتور هوجو »و « الفريد دى فينيى » فنشر الاول فى سنة ١٨٢٧ مقدمة« كروموبل » التى سحب فيها « راسين » و « كورنى »و«بوالو»على وجوههم فى التراب كما يعبر الفرنسيون وفى سنة ١٨٢٩ترجم« الفريد دى فينيى » رواية « عطيل » لشكسبير وقدمهاالى فرقة « الكوميدى فرانسيز» فكان ذلك بمثابة طعنة نجلاءصوبها الى قلب المدرسة « الكلاسيكية » لان ترجمةاسفافات « شيكسبير » الى الادب الفرنسى كانت اول نقطة سوداءالتصقت به . وقد اعتبر النقاد الفرنسيون ان طليعة ما أصاب ادبهم من انحطاط كان من تأثير ادب « شيكسبير » وفى سنة١٨٣١ قدم رواية ثانية تاريخية ولكنها لم تحظ بالنجاح . وفىسنة١٨٣٥ نشررواية«شاتيرتون» التى نالت من النجاح مثل مانالتمسرحية « كورنى » ليسيد التى سنحدثك عنها حين نعرض لـ « كورنى »

وقد استقى شاعرنا هذهالرواية من كتاب ترجمه هو عن الانجليزية يسمى « ستلو » أو« الشيطان الازرق » وتعتبر هذه الرواية مجموعة من التاريخوالفن القصصى والحزن العميق . وقد صور لنا الشاعر فى هذهالرواية بطله « شاتيرتون » مسحوقا باقدام المادية الدنيويةبل مثال الشخص المعذب عذابا دائما . وتمتاز هذه المسرحيةبمحاوراتها العالية بين الضمير والقوى النفسية الاخرى وهذهميزة لا يستهان بها ، بل هى التى جعلت رواية « شاتيرتون »لاتقل قيمةعن رواية آلام «فرتر»

بيد ان هذا المجد المؤثللم يدمطويلا لان الشاعر لم يلبث ان ختم حياته التأليفية الادبيةبكتاب نثرى عنوانه « العظمة والخدمة العسكرية »

وظل بعد ذلك ثمانية وعشرين عاما لم ينشر أثناءها الا بضع قصائدقليلةمثل : «جبلالزيتون»و « منزل الراعى » فأذاع أعداؤه ان انتاجه قد نفد ، وان راسهاصبح قاحلا مجدبا ، وظل الناس على هذه العقيدة حتى مات« الفريد دى فينيى » فانكشف بموته القناع وايقن الجميع انهمكانوا على خطأ وضلال فى رميهم اياه بالجدب والاقحال وتبينواان قول « سانت بوف »

« ان الملاك الطاهر » يعنى ألفريددى فينيى » قد شرب خلا ؛ فأصبح رأسه عقيما » . كان ڤولاغير صحيح فوق انه كان مبعوثا بباعث الحسد والشماتة ؛ وليس هذا غريبا اذ قد تبين لهذا الشاعر التعس بفضل المصائب — وهى خير محك — أن اكثر اصدقائه كانوا خونة او على الاقل غير اوفياء . اما السبب الذى حداه الى هجران النشر فى هذه الثمانية والعشرين عاما الاخيرة من حياته ، فهو انه أحب حوالى سنة ١٨٣٥ ممثلة تدعى السيدة «دورفال» كانت قد قامت بتمثيل أحد المناظر فى روايته الاخيرة « شاتيرتون » فافتتن بها افتتانا ملك عليه كل نواحى حياته حتى اصبح غير متصرف فى نفسه امام هذا الحب القاهر ، لكن هذا الغرام الفتى القوى لم يلبث ان تحطم امام خيانة من جانب تلك الممثلة اللعوب ؛ فلم يكن من شاعرنا الا ان كبت عواطفه فى قلبه المتصدع واضحى لا يحتمل منظر الناس ولا يطيق أن يرى من بنى البشر الا زوجته الهادئة الطيبة القلب ، وليس هذا هو كل شىء فى تلك الحادثة ، وانما هو قد أبغض النشر وصار لايكترث بالشهرة ولا بالمجد ولكنه كان فى كل هذه المدة يكتب وينتج خير ما فى مكنة القرائح البشرية ان تنتجه . فمن مؤلفات هذا العهد كتاب الاقدار الذى نشر بعد موته وهو يحتوى على ادق واعمق المسائل الفلسفية التى بدأ الشاعر بالتفكير فيها فى قصيدتى : — موسى — و — ايلوا — وظهر نضوجها وسطوعها فى هذا الكتاب ومن مؤلفات هذا العصر الخطيرة مذكراته اليومية التى ظل اربعين عاما يدون فيها كل احداثه يوما بعد يوم ، ولكن هذه المذكرات لم ينشر منها تنفيذا لوصيته الا بضع قطع اجاز نشرها ومما يلفت النظر فى هذا القسم من حياة — دى فينيى — هو أنه كان يعيش عيشة المتنسكين الروحيين حتى قال عنه — اسكندر دوماس — الاكبر انه يعد من الغرائب مشاهدته — الفريد دى فينيى — يأكل لانه يتصوره ملكا سمت به ملائكيته عن المادية .

واخيرا وبعد كل هذا اصيب شاعرنا بسرطان فى المعدة قضى عليه وهو فى احدى رحلاته الى باريس فى سنة ١٨٦٣ فانطفأ منذ هذا التاريخ ذلك المصباح الذى كان ينير عالم الكتابة والتأليف

منتجاته:

قبل ان نعرض لهذا الجانب من جوانب حياة - ألفريد دى فينيى - يجب أن نشير الى انه كان اول من خلق ذوق صوغ الافكار الفلسفية فى شعره . وانه اعلن ان الشاعر لا يجدر بهذا الاسم الا اذا كان فى شعره مبتدعات خاصة به ، وافكار وانفعالات مستقلة ، لانه حين ذلك يكون قد برهن على انه يستطيع ان يهضم العالم كما هى مهنة الشاعر الحقيقى ، ولكن لا ينبغى ان تتصور ايها القارىء اننا سنجد لدى - الفريد دى فينيى - مذهبا فلسفيا محددا ، وانما كل ما هنالك هو انه كان يأتى بافكاره فلسفية يصوغها فى اسلوب شعرى رائع ثم يخرجها للناس ليستفيدوا بما فيها من معارف نافعة وعنده ان المعنى مقدم على الاسلوب ، وهو لهذا لم يثبت عنه انه ضحى مرة واحدة بالمعنى وحده ان وقع بين منتجاته شعر ضعيف ، لانه كان يرى ويقول دائما - ان الفيلسوف خير من النظام - ومما لاشك فيه ان مجده لم يلحق فى عالم الشعر مجد - هوجو - او - لامارتين - وان كان شعره اعمق وابعد نظرا من شعرهما . واليك نماذج من هذا الشعر القوى الرصين .

القصائد الاثرية والعصرية:

احتوى هذا السفر على افكار فلسفية قيمة نتجت للشاعر من حوادثه الخاصة ، فمثلا : لما كان مؤملا فى المجد والعظمة ثم اخفقت اماله ، استنتج من هـــذا ان العبقرى الموهوب مقضى عليـــه بالعزلة والالم ، لانه فوق البشرية فيجب أن يمتاز عنها بمرافقة الالم بيد ان هذا الالم مهما عظم شأنه لا ينبغى ان يعوق الانسان عن اداء واجبه . وقد تمثلت هذه الفكرة العظيمه باجلى مظاهرها فى - قصيدة - موسى على الجبل التى نترجم لك منها مايلى : -
ان موسى النبى المئوى والمحاط بهالة من الشرف قد صعد على الجبل ليكلم ربه بينما كان الجيش كله واقفا ينتظر ، فلما مثل بين يديه قال له مولاى الم تنته مهمتى بعد ؟ اين تريد ان اذهب بعد الان هل سأعيش طول حياتى منعزلا ، دعنى انم نوم اهل الارض ، ان

ملائكتك يغبطوننى ويعجبون بى فيما بينهم ، ومع ذلك يامولاى انا لا اشعر بالسعادة ، انك حين اخترتنى نطق الذين حولى قائلين: أن هـذا الشخص لا يشبهنا فى شىء ثم لم يلبثوا أن خفضـوا أعينهم أمام عينى اللامعتين ،لانهم كانوا يقـرأون فيهما أكثـر مما تحتمله طبيعة الانسان . ولهذافقد رأيت حبهم اياى بدا ينطفىء وصداقتهم لى أخـذت تجف لانى أصبحت أغايرهم كل المغـايرة ، فيامولاى دعنى أنم نوم أهل الارض الهادىء ! »

فأجاب الاله دعاءه ثم رفعـه من فوق الجبل الى حيث لايعلم الا الله مستقره وقد اسـتخلف على الناس واحدا غيره ، ليكون بعده على الجيش العبرى وهو النبى يوشع . فلما وقف الزعيم الجديد فى ذلك الموقف الحـرج المفعم بالمخـاطر والاهـوال ورأى نفسه وجهـا لوجه امام الواجب القاسى . احس بنفس المسئولية التى كان سلفه موسى يحس بها، فتقدم الجيش ممتقـع اللون ، مشـغول البـال ؛ حزين القلب لهول التبعة الملقاة عـلى كاهله والناس من حوله يعتقـدون انه سعيد بمنصب الرياسة الجديد»

وهكذا استطاع « الفريد دى فينيى » أن يرسم فى هذه القصيدة صـعوبة الواجب ومسـئولية القائمين به . ولا ريب ان هـذا التصوير الدقيق يذكرنا بقـول « كانت » الفيلسـوف الالمـانى العظيم : « ايه ايهـا الواجب ،انت لاتقدم الى الانسان سرورا ولا لذة ، بل بالعـكس ، انت تتعبه وتشقيه ؛ ولكنك فى مقابل ذلك تعلمه الاستمتاع بحريتـه والمحافظـة على كرامتـه » واذا تركنا هذه القصيدة جانبا وعرجنا على قصيدة (ايلوا) وجدنا بين سطورها من الافكار الفلسفيـة المصوغة فى الاساطير والخرافات ماهو جدير بالدرس والتحليل،وتتلخص هذه القصـيدة فيمـا يلى : لما رأى المسيح صديقـه مينا ، بكى وسـكب عـلى جثته دمعتين حارتين فخلقت منهمـا ملكة جميلة طاهرة ثم صـعدت الى السـماء العليـا ، وهنـاك سمعت بقصـة ابليس وما ناله من الطرد والحـرمان فأخذتهـا الشفقة عليه الى حد ان استولت على قلبها الكآبة ، وخيم عليهـا الحزن والاسى ، فضاق صدرها

بالبقاء فى السماء فنشرت جناحيها وألقت بنفسها فى الفضاء فهوت الى السماء الدنيا ، وهناك التقت بشخص على صورة ملك جميل فسألته عن سبب وجوده فى هذا المكان فاجاب قائلا : انى من اعظم الملائكة شأنا واجلهم منزلة، ولكنى احب الانسانية حبا دفعنى الى الاشفاق عليها مما تقاسيه من الآلام والاحزان ، وقد اعلنت هذا ، فغضب الاله على من اجل هذه العاطفة وحكم على بالبقاء فى السماء الدنيا ثم اخذ يستعطفها ويرجوها ان تسرى عنه شيئا مما يقاسيه ، فرق قلبها له واعتزمت ان تقيم معه لتخفف من فؤاده بعض مافيه فلما انس منها ذلك اشار اليها ان تتبعه ففعلت . فلما بدآ فى المسير سألته قائلة : الى اين تقودنى ايها الملك الجميل : فقال بصوت متهدج . تعالى ؟ استمرى ؟ فقالت : اى صوت حزين ؟ !وأية حال مكتبئة ! ؟ انى ظننت انى ببقائى معك قد انقذتك من مخالب هذا الحزن فلماذا انت حزين ؟ فقال فى صوت جاف حزين قاس : كلا كلا ، انت لم تنقذينى ، ولكنى انا الذى اغويتك وهويت بك الى ما اريد ، والآن لم يبق على الا ان آخذ ضحيتى فقالت : ويلاه ! لقد كنت أتخيل انك خير طيب القلب ، فماذا انا فعلت ياترى ؟ فقال : لقد فعلت جريمة . قالت جريمة ؟ ! ولكن هل استطعت ان اصيرك سعيدا ليعزينى ذلك عما سقطت فيه من اثم لم اكن اقصد من ورائه الا اسعادك فقال : انا الآن اكثر حزنا من ذى قبل قالت : من انت اذا ؟ قال انا ابليس ! » ولما وقعت لشاعرنا تلك الحادثة الغرامية التى اسلفنا لك الحديث عنها تضاعف حزنه وزاد اكتئابه وحمل اقسى انواع الحقد واشنع الوان الحفيظة للاقدار والحب والانسانية واخذ يطعن على الجميع فيرمى الانسانية بالضعف والاقدار بالعمى والصمم ، ويصف الحب بانه خدعة زائفة لاحقيقة لها ولا ثبات ولا قاعدة، واخذ ينفث احقاده هذه فى قصائده ولا سيما منها الاخيرة التى نشرت بعد موته . ومما جاء فى قصيدته التى عنوانها (الاقدار) والتى حمل فيها حملة شعواء قاسية على عقيدة القضاء والقدر فى الكاثوليكية ،

وتهكم بقول المسيحيـــة « ان الانسان حر ، خاضع لقدر الله » وهو يقول : ان هاتين الجملتين مختصمتـــان خصـومة لايمكن التغلب عليها اما هــذا الانتحال الذى يخلقونه ليوفقوا به بينهما وهو قولهم : ان الانســـان حرحرية محدودة ، فمثله فى رايى كمثل من يربط انسانا بحبل ثم يقبض طرف الحبل ويرسل هذا المربوط التعس ، ليسير كمـا يشاء ، ولـكن فى حـدود طول الحبل لا أكثر . فهل يقال لهذا المسكين انه حر ؟ طبعا : لا ، ولكن ما اشقى بنى الانسان وما اجهلهم وما اشبه حاضرهم بماضيهم ، بل ان حاضـرهم أتعس وأكثـر ظلاما من الماضى لان المسألة لـم تعد ان ورثت اوربا فى خضوعها لقدر المسيح ـ الشرق فى خضوعه لقدر الاله (١) فالامر فى باطنه واحد ، وفى ظاهره زاد ضعفـــا وسخطا وبعـدا عن المنطـق . فالرجل العاقل لاينبغى ان يعتمد على تلك الاســـطورة الفارغـة السخيفة التى تزعم الكاثوليكية انها خالدة الا وهى : « كل شىء مكتوب منذ الابد » دافع « دى فينيى » دفاعا قويا عن الكرامة الانسانية وصـورها تصـويرا مشرفا فى قصيدة «موت الذئب» اذ يرسم فيها ذئبا مائتا ووضع على وجهه كل علائم العظمـــة والاحتفاظ بالكرامة الى درجـة ان الدم كان يسيل من فمه وهو ينظر باحتقار الى الصـياد الذى قتله والى بقيـــة الحـاضرين . والفـكرة الجـوهرية التى يرمى اليها الشاعر فى هـذه القصيدة هى ان التأوه والشكوى والبكاء والرجاء براهـين الوضـــاعة والسفالة . وتمتاز هذه القصيدة بالرهبة والحزن العميق

ومما يلفت النظر عند (الفريد دى فينيى) فكرة التفاؤل والامل

---

(١) يقصد «الفريد دى فينيى» بكلمة الاله هنا اله اليهود الذى صوروه فى كتابهم شريرا ، بل لصا ممقوتا يأمر نساء اليهـود ان يستعرن حلى المصريات بحجة حضور احداعيادهن ، ثم يأخذن ذلك الحلى ويهربن به ليـــلا الى غير ذلك من النعوت التى تعالى عنها الاله الحق علوا كبيرا . راجع سفر الخروج من التوراة

فى المستقبل الكونى والايمان بان الانسان سيتغلب على ما فى هذا العالم من شرور وسيئات وسيأتى حتما ذلك اليوم الذى تطهر فيه الحياة من الآلام والشقاء ، والذى ستسود فيه مملكة الروح وحدها . وهذه الافكار كلها تتمثل فى قصيدة «منزل الراعى» وهى احدى قصائده الفاتنة التى حوت مجموعة عظيمة من افكاره الفلسفية مثل اجلاله للشعر وتسميته اياه بـ « الماسة » التى تضىء نارها تلك الخطوات المتمهلة التي يخطوها العقل البشرى . واهم من ذلك عند « دى فينيى » ، وتقديسه للعلم الذى صوره لنا فى قصيدته الفاتنة « الزجاجة فى البحر » وملخصها ان ضابطا غرقت به السفينة فى البحر ، فلم يأسف على اكثر من معارفه التي كانت فى راسه ، فلخصها فى ورق قليل وضعه فى زجاجة محكمة الاغلاق فلما طغى البحر ، ابتلع كل مافى السفينة من اناس وامتعة، ولكنه اجل الزجاجة فابقى عليها وتركها تتهادى فوق الماء حتى وقعت ذات يوم فى يدى صياد فاخرجها وهنا اخذ شاعرنا يناجى الصياد قائلا :

ايها الصياد ان هذه الزجاجة تحتوى على اكسير الحياة الذى تشربه الارواح ، فلو أن شبكتك اخرجت لك يوما كل مافى المكسيك من ذهب ، وما فى الهند من ماس ، وما فى افريقيا من جواهر لكان عملك فى ذلك اليوم اقل قيمة منه الآن

مجلس السويس البلدى
قلم المشتريات

تقبل العطاءات بمجلس السويس البلدى حتى ظهر يوم ١٩٥٣/٨/١٠ عن توريد أعمدة صلب أو خرسانة

وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة خلاف أجرة البريد وكل عطاء لايرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت اليه ٤٩١٢

ألفريد دى موسيه

أما هنا فسأحدثك عن كاتب فذ ، وشاعر ممتاز ، وهو ألفريد دى موسيه شاعر الحزن والالم ،شاعر العبرات والتنهدات، شاعر الانات والتــأوهات الذى يحس بدقات القلوب ، وخفقات الافئدة، شاعر الحب والغـــرام ، شاعـــر الجمال والانسجام الذى يعرف كيف يصف اللقاء ولذته ، والفراق ولوعته ، شاعر الشـــباب الذى يستطيع أن يرسم العواطف الحادة،والاحساسات الملتهبة٠٠٠ ألفريد دى موسيه الذى اذا عرض لاى شأن من شئون الحياة صوره على لوحات قصـــائده الفاخـــرة ،ومقطوعاته الباهرة ، تصـــويرا لا يقل وضوحا عن تصوير ريشة رفائيل ، ولولا أن المجال لايتسع لترجمنا لك هنـــا نمـــوذجا من هذه القصائد الفاتنة مثل (ليلة ديسمبر) أو (ليلة اكتوبر) اللتين صور فيهما للقارىء أعوام طفولته، وسنى مراهقته ، وعهد شبابه ،ومبدأ رجولته ، وكثيرا من عواطفه ومشاعره ، وطـــرفا من أحـــداثه ومواقفه ، تصويرا يسحر القارىء ويفتنه عن نفســـه ، ويذهله عن مصـــالحه الخاصـــه ومشـــاغله الضرورية ، ولكننا سنكتفى الان بأن نمر معك بحياته الاجتماعية والادبية مرورا سريعا ، لنضع بين يديك صورة صادقة لاحد أعلام القرن التاسع عشر ، لا فى فرنسا وحدها ، بل فى العـــالم كله ، واليك هذه الصورة :

انبثق ألفريد دى موسيه من أسرة عريقة المجد ، كريمة المحتد، عالية العنصر ، متغلغلة فى غيابات الماضى البعيد نبلا وشرفا ، اذ قد بقى من آثارها المحققة ما يرجع تاريخه الى سنة ١٤٦٠ وقد كان فيها أصحاب الالقاب السامية ،وذوو المناصب الرفيعة ، فتنقل

مشاهير أعضائها بين وظائف القضاء ، ومناصب القيادات العليا للجيوش ، وتولى الكثيرون منهم بعض المراتب فى القصور الملكية والدوقية المختلفة . وقد كان أفراد هذه الاسرة البارزون معروفين شخصيا لملوك فرنسا ووزرائها من عهد بعيد . وقد تزوج أحد أجداد ألفريد دى موسيه بابنة شقيق «جان دارك» بعد صعودها الى أوج عظمتها ، وليس هذا بالشىء الهين أو اليسير، على أن هذا الجد الذى تزوج ابنة شقيق «جان دارك» لم يكن صغير الشأن ولا خفيض القيمة ، وانما كان مستشارا لدوق (أورليان) .

لما التهبت الثورة الفرنسية كان عميد أسرة دى موسيه وفيا للملك والملكية ، فلم يسعه حين أعلنت الثورة الا أن يغادر فرنسا ففعل . وأما شقيقه الاصغر فقد ظل حيث هو لانه لم يكن من ذوى الشخصيات البارزة حتى يتوقع لنفسه الاضطهاد من الثائرين . وبما أنه لم يكن من كبار الاثرياء، فقد اقترن بابنة أحد النواب المتوسطين المشهورين بذكائهم . وقد قطنت هذه الاسرة الصغيرة فى شارع متواضع الى جانب السوربون ، وهناك ولد ألفريد دى موسيه فى سنة ١٨١٠، وكان طفلا جميل الطلعة حلو التقاسيم، جذابا ، خفيف الروح يحبه كل من تقع عليه عيناه ، ويعتقد من يراه انه من سلالة الملوك والاباطرة ، وليس هذا خيالا من الكتاب والمؤرخين ، بل قد حدث بالفعل فى سنة ١٨١٤ حين كان ألفريد مع والديه فى مركبة فاخرة يقصدان السفر بها الى شرق فرنسا ، وكانت سن الغلام لاتزيد على أربعة أعوام ، فلم يكد القرويون يرونه حتى توهموا انه نابليون «الثانى» ابن الامبراطور نابليون الاول والامبراطورة «مارى لويز » كريمة امبراطور النمسا، وهتفوا صائحين يدعون اخوانهم ومعارفهم لرؤية «النسر الصغير» ولى عهد فرنسا ، ولم يكن ذلك من القرويين عبثا ولا هوسا ، وانما حداهم اليه جمال طلعته ،واتساق تقاطيعه ، وانسجام تقاسيمه،وسحر عينيه وفيضانهما بالنبل والوداعة .

ظلت والدته المثقفة الحكيمة هى أستاذته الوحيدة التى تلقنه كل شىء الى أن بلغ من السن سبعة أعوام ، وبعد هذا التاريخ أدخله

والده مع شقيقه الاكبر « بول دى موسيه » بنسيونا مدة سنة واحدة تلقيا أثناءها فيه التربية الخلقية والعقليه والجسمية على أستاذ ماهر . وبعد هذا العام ذهب الاخوان معا لزيارة عمهما وعميد أسرتهما الذى عاد الى فرنسا بعد أن وضعت الثورة أوزارها وهوى نجم نابليون ورجعت الملكية الى فرنسا . وكان لهما فى موطن أسرتهما عمة حادة الخلق شاذة الطباع ، جافة المعاملة تقيم مع أخيها فى المنزل الذى ذهب الغلامان لزيارة عمهما فيه . وكانت هذه العمة أول سيدة جافة الطبع وقعت عليها عينا (ألفريد دى موسيه) فأثر فى نفسه شذوذها تأثيرا عميقا ظهرت نقمته عليه فى قصائده فيما بعد .

وفى سنة ١٨٢٤ ألف ألفريد أولى قصائده فى الثناء على والدته العزيزة ، وأستاذته الجليلة . وفى سنة ١٨٢٦ أتم دراسته الثانوية وكانت سنه لا تزيد على السادسة عشرة ، وليس هذا هو كل شيء ، بل كان أحد طلائع المتفوقين فى المدرسة الثانوية الذين نالوا مكافأة الامتياز .

ولما أتم دراسته الثانوية صمم والده على أن يستمر فى السلك العلمى حتى ينال شهادة عالية كما يفعل أخوه الاكبر ، فلم يدر الفريد ماذا يختار من الكليات العالية ، وأخيرا قر رأيه على أن يدرس الحقوق فالتحق بكليتها ، ولكن هذه المواد العلمية التى يشوب بعض نواحيها شيء من الجفاف لا تتفق فى طبيعتها مع ميول شاب ملتهب العواطف ، حاد المزاج ، دقيق الشعور ، مفتون بالادب ، مغرم بالجمال ، مسحور بالغانيات قبل أن يختلط بهن أو يعرف من أمرهن كثيرا ولا قليلا ، فلم يكد يرى فى الحقوق تلك المواد التى تصدع الرءوس الشعرية الرقيقة حتى هجر الكلية بجسمه بعد أن هجرها بقلبه منذ اليوم الاول الذى التحق فيه بها ، ولكنه حين غادر دراسة الحقوق ، هوى فيما هو أكثر منها جفافا وبعدا عن طبيعته وتكوينه ، لانه التحق بكلية الطب ، فلما رأى للمرة الاولى فى حياته جثة آدمية فوق المشرحة لم يسعه الا أن يفر فى الحال مذعورا صائحا . ويا ليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل ظل

بعد ذلك ليلتين كاملتين لا ينام ساعة واحدة الا ممتلئة بأحلام هذه الجثة المزعجة ، وكان ذلك طبعا آخر عهده بكلية الطب، وقد نشر أحلام هاتين الليلتين فى الصحف ، وسجلها فى القصائد والمقطوعات تسجيلا يدل على قدرته فى الادب ، وامتلاكه أعنة الجمل والعبارات.

هجر شاعرنا الشاب المدارس على اختلاف أنواعها وأخذ يختلف الى مجالس مشاهير الادباء فيسمع مناقشاتهم ويأخذ بحظ صغير أو كبير من آرائهم ، ويدلى فى منتدياتهم بشىء من أفكاره ويسمعهم طرفا من شعره ، فيظهرون اعجابهم به ويعلنون تنبؤاتهم بأنه سيكون من كبار شعراء فرنسا • ومن حسن حظه أنه كان صديقا عزيزا لـ «فوشيه» صهر «فكتور هوجو» فقدمه اليه والى تلك الجماعة المحدثة التى كان همها هدم المدرسة الكلاسيكية وتشييد الرومانتيكية على أنقاضها.

لم تكن والدة ألفريد محزونة لمصيرة ، ولا آسفة على مستقبله، بل كانت سعيدة لاتصاله بأفذاذ الشخصيات المعروفة فى فرنسا من الادباء مثل « فكتور هوجو » و« سانت بوف » و « ألفريد دى فينيى » وغيرهم من ذوى الالقاب العالية فى الدولة مثل الامير « بيلجيوزو » و« الكونت دالتون سهيه » وقبل هؤلاء جميعا يعرف أحد الادواق الذين سيكون من بينهم ملوك فرنسا المنتظرون • وبالفعل قد جلس صديقه هذا على عرش فرنسا فى سنة ١٨٤٨ فدعا ألفريد وأسرته لمشاهدة حفلة تتويجه ، فكانت هذه الدعوة موضع فخار ومباهاة لدى تلك الام المفتونة بابنها الشاعر النابغ • وأما والده فقد كان ساخرا جهد طاقته من هذه المظاهر الخداعة التى لا تساوى أضعافها فى رأيه نجاح انتقال بسيط من سنة دراسية الى السنة التى تليها ، وهو فى هذا كان ناقما على هذه الحياة الفارغة المترفة التى كان يحياها ابنه دون عمل منتج ولا شغل مفيد ، وكان يعلن دائما انه لا يرضيه من ابنه الا أن يعمل عملا نافعا فى الحياة ، فلما استيأس من سيره فى السلك

الدراسى ، صمم على أن يلحقه بالجندية ، وقد فعل ، فلم يسع ألفريد دى موسيه الا أن يذعن أذعن لامر والده ، ونزل عند ارادته آسفا محزونا ، لان هذا الامر الجديد كان بمثابه قفص حكم فيه بالسجن على بلبل شعره الصداح ، وان كان لم يكلف فى حياته الجديدة بأعمال شاقة وتمارين متعبة ، وبالرغم من هذا فقد ضجر أديبنا الشاب ضجرا شديدا لانه أحس بأنه لم يخلق الا للكتابة والشعر وحدهما ، ولكن أباه لن يعفيه من الجندية الا اذا ظهرت له نتائج جيدة فى هاتين الصناعتين ، فنشر أولى مجموعات شعره تحت عنوان «ماردوش» فى سنة ١٨٣٠ ، فلما ظهرت هذه المجموعة ، وجد النقد أنها غريبة فى بابها ، لانها قيمة المعانى ، محكمة البناء ، متينة التركيب ، ولكنها تحوى شيئا لا يستهان به من المجون والاباحية كما تضم بين صفحاتها عددا عظيما من براهين الموهبة النادرة ، والعبقرية الفائقة ، بيد انه ينبغى لنا أن نصرح بأن النقد لم ينل منها كثيرا ، لانها لم تكن كلاسيكية صريحة ، ولا رومانتيكية واضحة وهذا هو أهم أسباب عدم الحمل عليها ، بل نيلها الحظوة العليا من أنصار المدرستين

وفى سنة ١٨٣٢ نشر ألفريد قطعا تحت عنوان

Les Contes d'Espagne et d'Italie

فشجع ذلك بعض أصحاب المسارح فطلبوا اليه أن يكتب لهم قصصا تمثيليه ففعل ، وقدم قصتين لاحد أصحاب المسارح ، ولكنه أخفق فيهما كل الاخفاق لان الجمهور كان بازائهما كأنه يشاهد حوادث وقعت فى المريخ فلم يفهم منها شيئا ، ولم يتذوقها البتة ، فلم يسع مؤلفنا المسرحى الناشىء الا أن تخلى بتاتا عن هذا النوع من الكتابة ، وهذا مؤسف أشد الاسف ، لان قصصه فيما نرى كانت رشيقة فاتنة ، وفنية بارعة ، وكل ما كان فيها من عيب هو أنها كانت فيما نعتقد تفوق مدارك النظارة ومسارح باريس فى ذلك العهد .

ومهما يكن من الامر ، فان ألفريد دى موسيه قد تخلى عن القصص المسرحية المراد تقديمها الى أصحاب المسارح ، ولكنه ظل يكتب لنفسه ولقرائه ، وظل كذلك النقد ينهال عليه من كل

جانب ، وهو يوالى الكتابة والنشر دون اكتراث ولا مبالاة ، ودون صعود ولا هوى حتى نشر «سانت بوف» فى نقده وتقريظه مقالا فخما فى مجلة العالمين تناول فيه بعض منتجات الفريد دى موسيه، فكان ذلك المقال حدا فاصلا بين ماضى كاتبنا الشاب ومستقبله ، لان جريان اسم الفريد دى موسيه على لسان «سانت بوف» أو ذكر اسم هذا الكاتب الناشىء فى مقال ذيل بتوقيع هذا الناقد الجليل مجد مستقل وفخار عظيم ، ولم لا ؟ أليس مجرد النطق باسم «سانت بوف» معناه النقد الحاد والتحليل العميق ، بل أليست كلمة نقد فى ذلك العهد كانت مرادفة لاسم (سانت بوف) تمام المرادفة • واذن فتناول مجلة العالمين منتجات ألفريد بقلم سانت بوف معناه ان هذا الكاتب الشاب قد أصبح ممن يؤبه لهم فى باريس ، وهذا السبب هو الذى حدا بوالده الى السماح له بترك عمله فى الجندية، والتفرغ للكتابة والشعر ، فسر بعودة الحرية اليه سرورا عظيما ،وطفق يكتب وينشر ويتلقى من كل فج ضروب النقد وألوان التقريظ •

بدأ ألفريد دى موسيه منذ ذلك العهد يكتب فى مجلة العالمين مقالات مستفيضة فى موضوعات مختلفة ، وعن طريق هذه المجلة عرف السيدة « جورج صاند » الكاتبة المعروفة ، وكانت سيدة متزوجة تكبره بستة أعوام ،فاتسقت بينهما صلة المودة، وجمع قلبيهما رباط الالفة الادبية التى مازالت تقوى عند الطرفين حتى صارت حبا ولو من جانب السيدة جورج صاند على أقل تقدير ، وذلك فى آخر عهدهما الاول ،أما حين تعارفا فقد كانت عاطفته نحوها ملتهبة بالحب الحاد والغرام العنيف ، ولكنه لفرط حيائه الطبيعى كان يعلن اليها انه لا يريد منها أكثر من الصداقة البريئة• ولما كانت هذه السيدة حادة المزاج ، قوية الروح ، وفيرة الذكاء ، واسعة الخيال من ناحية، ورأت فيه شابا ممتاز العقلية ، قوى الشاعرية ، نادر العبقرية من ناحية أخرى • وفوق ذلك فانه كان جميل الطلعة ، شيق المحيا ، خفيف الروح ، منظم الهندام كما قدمنا ، فقد أحبته هى كذلك وافتتنت به وكتبت الى صديقها سانت بوف أن صلتها بـ «الفريد دى موسيه» لا زيادة

بعدها لمستزيد ٠ ولم تكن جورج صاند اذذاك سيدة ساذجة عذراء القلب ، لانها بعد انفصالها من زوجها قد أحبت «جول صاندو» الذى لم يلبث أن هجرها واجتواها وتركها تهوى فى حضيض الالم والشقاء وأفهمها كيف يكون الجوى وعذاب البعاد، ثم اتصلت بعد ذلك بالكاتب الشهير «مريميه» الذى لم يفهم حقيقتها على ما هى عليه فكانت القطيعة بينهما سريعة سهلة غير مأسوف عليها ٠ وكذلك شاعرنا الشاب لم يكن خالى القلب من ذكريات الغرام لانه كان قد أحب قبل هذه السيدة اثنتين ، فأما الاولى فهى ابنة عمه ، وكانت فتاة جميلة ساحرة ، فتعلق قلبه بها سنتين ، وهو فى آخر أدوار دراسته الثانوية ولم يعرف عن هذا الفؤاد الناشىء الهيام بها والوله فى حبها الا حين علم انها تزوجت ٠ وأما الثانية فهى سيدة متزوجة من أحد ذوى الالقاب الضخمة والمراكز العالية ، وقد خدعته فى حبه واعتبرته طفلا يلهو فلا يصح الاكتراث به ، فلما رأى سخريتها منه ، انجرحت كبرياؤه ، وصدم فؤاده الشامخ صدمة عنيفة ظل أثرها عالقا به حتى آخر حياته كما أنبأنا هو فى « اعترافات أحد أطفال العصر »

زادت صلته بجورج صاند زيادة مطردة وأخذا يقضيان معاً أكثر أوقات الفراغ ، بل وأوقات العمل ، فيقرآن ويكتبان ويتنزهان معا ، ويرتحلان فى نزهات طويلة الى القرى المختلفة والحقول المتباينة ، فلما رآها قد انسحبت فى تيار حبه الى حد لا تمكن معه المقاومة أعلن ان صلته بها لم تقف عند حد الصداقة ، وانما قد وصلت الى أسمى ضروب الحب ، ولكن الصداقة كانت ستارا أخفى تحته ما لم يكن يجرؤ على اعلانه فى ذلك العهد الماضى ٠

ولما أعلن الحب من الجانبين رأى الحبيبان أن يرتحلا الى ايطاليا ليقيما بها بضعة شهور بعيدين عن العذال والرقباء ٠ وقد عرضا هذه الفكرة على والدة ألفريد فلم توافق عليها فى أول الامر ، ولكن ابنها وحبيبته ظلا يتضرعان اليها حتى قبلت فسافرا الى فلورنسا ثم الى البندقية ، وهناك مرض شاعرنا بالحمى ، فأحضر أحد الاطباء الايطاليين لمعالجته ، وكان شابا ممتازا بهى الطلعة حلو الحديث، فأخذ يتودد الى هذه السيدة والشاب الشاعر فى ذهول الحمى

وهذيانها حتى بادلته حبابحب وغراما بغرام . ولما بدا الفريد دى موسيه السير فى طريق النقاهة اخذ يحس بوله حبيبته الآثمة بهذا الطبيب . فتألم لتلك الخيانة ألما شديدا . وسألها عن ذلك الغرام . فاعترفت له بكل شيء . فلم يحتمل منها هذه الصدمة القاسية ، وصمم على ان يعود الى باريس منفردا لانه اصبح لايطيق مرافقة هذه السيدة الخائنة ، فظلت تقاومه فى هذه الفكرة محتجة بانه لايزال ضعيف الصحة لايقوى على السفر وحده ، ولكنه انتهز فرصة تغافلها عنه بحبيبها الجديد وسافر فجأة فى أحد الايام دون ان تعلم من امره شيئا . ولما وصل الى باريس كان التعب قد انهك صحته المضعضعة ، والم صدمة خيانة هذه الحبيبة قد نال منه . وعودته فاشلا منهزما قدكسرت قلبه ، فانتكس فى المرض انتكاسا شديدا كاد يقضى عليه القضاء الاخير . فاستقبلته أمه وأخته بصدرين رحبين . وقلبين عطوفين . وجعلتا تهدئانه وتخففان عليه وقع الحادثة حتى انطفأ من راسه لهيب الثورة

"كوكا كولا
كوكا كولا!
لذيذة
ومنعشة"
اشرب
كوكا كولا
نقية
وطاهرة
يعرف
الرياضيون
فضل مذاقها
فى استعادة
نشاطهم
أثناء اللعب

بعض الشيء . وقد جعلت جورج صاند تكتب اليه من البندقية وسائل تنبئه فيها بان صلتها بهذا الطبيب لاتزيد على صلة الاخ باخته . فخف حقده عليها واستراح قليلا واخذ يكتب اليها كتبا ملؤها الحب والحنان والصداقة والوفاء . وما زال على هذه الحال حتى حضرت الى باريس يصحبها هذا الحبيب الجديد . وهنا رأى الفريد دي موسيه بعيني راسه ظل تلك الذكريات المزعجة التى كان يراها فى البندقية اثناء مرضه . فتضاعف حنقه عليها واحتقاره اياها . وهب يكتب اليها رسائل ملتهبة يرميها فيها بالعهر والفجور وبأنها حين كانت تساكنه لم تزد على انها كانت احدى الموسات اللواتى يهبن اجسامهن لكل من هب ودب اجابة لداعى الشهوات الحيوانية لا اكثر ولا اقل . ولم يكتف بهذه التهمة الشنعاء . بل أراد أن يغيظها فى نسويتها ويجرحها فى غرورها . فوصفها بانها لم تكن ذات احساس ولا شعور . وانما كانت باردة الدم متكلسة العاطفة . ميتة الاحساس حتى لتكاد تشبه الاموات والجمادات . وهذه الصفة هى احط ماتهوى اليه المرأة من الدركات المقززة للرجال . فلما تسلمت الكتاب الذى حمل اليها هذه الاهانة ردت عليه برسالة تشعر القارىء بانكسار قلبها . وتحطم فؤادها مما رماها به هذا الحبيب الذى كان بالامس يتفانى فى حبها . ويسعد بالقرب منها . وقد شئنا ان نترجم لك هذه الرسالة التى ردت بها على ذلك الكتاب الجارح المهين لنضع بين يديك نموذجا امينا لقلب المرأة اذا تحطم . ونفسها اذا انكسرت . واليك ترجمة هذه الرسالة :

من « جورج صاند » الى « الفريد دى موسيه »

« انت محق ياصديقى . ان معانقاتنا الماضية كانت فحشا وعهرا . ولكن عذرنا فى ذلك اننا كنا نجهل هذا العهر كل الجهل . اذ كان كل منا يلقى نفسه بين ذراعى صاحبه فى اخلاص وسذاجة . بل فى طهر وقداسة . ومع ذلك فهل لديك او لدى انا تذكار واحد من تلك المعانقات يدل على ان شيئا منها لم يكن فى رأينا طاهرا ولا مقدسا فى ذلك العهد على الاقل ؟ لقد أنبتنى

فى احد ايام هذيانك حين كنت مريضا بالحمى تأنيبا شديدا . لانى كنت دائما معك فاترة ولم اشعرك مرة واحدة بتلك السعادة التى يشعر بها المحب من حبيبته الملتهبة الشعور . فبكيت ! اذ ذاك من هذه التهمة التى جرحت كبريائى حين وصفتنى بالفتور والجمود بكاء مرا . أما اليوم فانى سعيدة كل السعادة بأن اكون كما وصفتنى . وسبب هذا هو انى احب الا اتذكر ايامى بشىء من الاسى . وهذا لا يتيسر الا اذا ذقت السعادة بين ذراعى غيرى انا الفاترة . ولكنى لو كنت شديدة الحيوية ووجدت نفسك بين ذراعى غيرى اقل سعادة منك بين ذراعى لاسفت على فراقنا وعذبت نفسك بذكرى هذا الاجتماع البائد . وهذا اكبر مايؤسفنى لو حدث ولكنه لن يحدث مادمت انا فى رأيك فاترة

انا سعيدة الآن لانك لن تذكرنى بين اذرعة النساء اللواتى ستتصل بهن . ولكنى واثقة من انك حين تخلو الى نفسك وتصبح فى حاجة الى البكاء والى الصلوات والى اعتزال صخب الحياة المادية . ستذكر من غير شك فى جورج صاند صديقتك المخلصة ومعينتك الوفية . وممرضتك الشفيقة . وفى شىء آخر هو ارفع وانقى من كل هذا . لان العواطف التى جمعتنا مكونة من عناصر لايمكن تشبيهها ولاموازنتها بأى شىء آخر فى هذا الوجود لرفعتها وسموها . اما هذه الجموع الحاشدة التى تموج بها المحافل والمنتديات من حولنا فلن تستطيع ان تفهم شيئا من هذه العواطف . لانها فوق مداركها »

صديقتك القديمة جورج صاند

ليست هذه هى الرسالة الوحيدة التى تبادلها المحبان . وانما تكررت بينهما عدة رسائل من هذا النوع الذى قدمناه . واخيرا صمم الفريد على ان يسافر الى المانيا . لينسى هناك اثر تلك الصدمة التى الحقتها به حبيبته الخائنة . وقد فعل فسافر الى تلك البلاد . واخذ يكتب اليها من هناك كتبا قاسية يطعن فيها على شرفها وعفافها . اما هى فقد اعتزلت الناس

جميعا وانسحبت الى قصرها فاقامت فيه وحيدة بعيدة عن جميع المحافل والمجتمعات . ولما انهالت عليها رسائله الجارحة المهينة فى اسلوبها الحاد وجملها الملتهبة النابعة من صدر ملؤه الحقد والحفيظة ، فقد استغاثت ببعض اصدقائها القدماء وتوسلت اليهم أن يردوا عليه بما يشبه اسلوبه على لسانها . فجعلوا يكتبون اليه بقلمها انه لا يحفظ الجميل . ولا يقدر الشعور النبيل . اذ لو كان كذلك لذكر انها هجرت ولديها واقاربها وتركت واجبها . وفارقت وطنها وضحت بسمعتها وكرامتها . كل ذلك فى سبيل ارضائه واسعاده بثوائها معه على انفراد فى ايتاليا حين ارتحل الى مدينة البندقية وانه طالما ابكاها واهانها فى تلك البلاد الاجنبية من اجل غيرة بناها على الخيال والشعر اللذين لا اثر لهما فى عالم الحقيقة الى آخر ماكتبوه اليه على لسانها . ورد هو عليه فى شيء من الحدة والقسوة

ولما بدا فصل الخريف وعاد الفريد الى فرنسا تفاوض الصديقان فى امر مقابلتهما . فتقابلا وتعاتبا عتابا طويلا . وبرهنا للناس جميعا على أن كلا منهما لا يزال يحفظ لصاحبه فى قلبه شيئا من المحبة والحنان فلما انكشفت هذه الحقيقة للطبيب الايتالى لم يسعه الى أن يودع جورج صاند وداعا ملؤه الكرامة والعزة . وان يعود توا الى بلاده عودة حاسمة . تلتها قطيعة قاصمة لم يسمع فيها الطبيب بعد ذلك بأى نبأ عمن فتنته بالامس عن نفسه واسرته وبلاده .

اخذت الصلة بين الحبيبين منذ ذلك العهد تتجدد شيئا فشيئا حتى عادت الى ماكانت عليه قبلا . ورجعت المياه الى مجاريها . وظلا مؤتلفين ردحا من الزمن استردا فيه سعادة الماضى اللذيذ وذكريات القطيعة المؤلمة . ثم عودة القلبين المتحابين الى الوئام والوفاء . ولكنهما لم يلبثا ان اختصما فساد بينهما الشقاق وسوء التفاهم فانفصلا . ولكن جورج صاند فى هذه المرة هى التى كانت مشغوفة بالاجتماع ، آسفة محزونة لهذه الفرقة . وقد عملت على انهاء ايامها حتى انهتها وعاد الحبيبان الى صفاء . وانهما لكذلك اذ تنافر قلباهما للمرة الثالثة . فلم يكن من جورج





صاند الا إن غادرت باريس وقذفت بنفسها فى بيئات الهوى متعمدة ان تجرفها العواصف الهوجاء • لتسلو ذلك العهد الذى طالما أذاقها فيه (الفريد دى موسيه) العلقم والصاب • وقد أحس الشاعر بهذه النية فحزن حزنا شديدا وسمى نفسه منذ الآن (شاعر الالم والعبرات) واخذ ينشىء قصائد عامرة تفيض بصنوف الحزن • وتطفح بضروب الاسف والشقاء • وسنترجم لك هنا نبذة من هذه القصائد المحزونة لنعطيك فكرة عن شعره فى ذلك العهد • واليك ترجمة هذه النبذة :

« فقدت قوتى وحياتى ، فقدت أصدقائى ومسراتى • فقدت حتى عزة النفس التى كانت تدفعنى الى الايمان بعبقريتى • انى حين فكرت فى الحقيقة • حسبت انها صديقة ولكنى لم أكد أفهمها وأحس بها حتى تقززت منها • ومع ذلك فالاله يتكلم بها • ويجب علينا أن نجيبه بها كذلك • واخيرا ان الشىء الحسن الوحيد الباقى فى هذه الحياة • اننى املك البكاء احيانا »

ولعل معنى هذه الجملة الاخيرة هو الذى اخذه المرحوم حافظ بك ابراهيم وصاغه فى هذا البيت العربى الرشيق

لم يبق شىء من الدنيا بأيدينا   الا بقية دمع فى مآقينا

خرج موسيه من هذه الحوادث كلها رجلا متبصرا حكيما دقيق الملاحظة • ناضج الفكر • قاسى القلب • خلع منذ هذا التاريخ ثوب الشاعر الطائش الغزل المتشبب • وارتدى ثوب الكاتب المتعقل الرزين • بل الجاف المتوحش • والشاعر الفيلسوف الذى يفعم قصائده بذكريات الماضى • وتصوير الحاضر • والتنبؤ بالمستقبل • ودعوة الشباب الى الالتفات الى الجد من الامور وتحذيرهم من غدر الزمن • ودفعهم الى اساءة الظن بكل مايسمى اخلاصا ووفاء الى غير ذلك من اساليب الحكمة والرشاد وفى هذا التاريخ عينه نشر الفريد دى موسيه قصيدتيه الخالدتين « ليلة ديسمبر » و « ليلة اغسطس » وقد اشار فى الاولى الى بعض ذكريات « جورج صاند » فى شىء من الرقة اللفظية والقسوة المعنوية

اخذ الفريد دى موسيه منذ ذلك العهد يختلف الى ارقى المنتديات العالية التى تحوى رجال الادب والسياسة فى فرنسا فى ذلك الحين وهناك عرف ذلك الشاعر الابدى ، والكاتب العالمى الخالد « لامارتين » الذى حدثناك عنه فى احد الفصول السالفة

وحوالى سنة ١٨٣٧ بدا الفريد دى موسيه يتردد على منتدى (مدام جوبير) وهو من اعاظم المنتديات الادبية فى باريس اذ ذاك . فلمح فيه الآنسة (ايميه دالتون) وهى فتاة جميلة مثقفة فتعارفا وتصادقا ثم تحابا . ولكن شاعرنا المتنقل لم يلبث ان شعر بانها لاتملا فراغ نفسه فملها واظهر سأمه منها فبادرت الى القطيعة محافظة على كرامتها التى اهانها هذا الشاب الذى يظل يتألم على ماليس فى يده حتى اذا ادركه سئمه . والذى لايبحث عن السعادة لايلقيها فى مكان سحيق ثم يشغل نفسه من جديد بالبحث عنها . ولم تكد تهدا عاصفة هذه القطيعة حتى كان هذا الشاعر النهم قد بدأ ينصب الحبائل فى شىء من الجراة للاميرة «بلجيوزو» ولكنها لعبت معه دورا قاسيا دوخه وعلمه كيف يحترم قلوب السيدات . ويقل من هذا التوحش الذى يستخدمه فى سحق هذه القلوب وابادتها دون ذنب ولا جريرة . ولم يسعه الا ان يتقهقر امام هذه الاميرة ولو الى حين . وبعد هذه الحادثة بأشهر قلائل ظهرت فى عالم التمثيل نجمة جديدة قامت فى احد المسارح الشهيرة بباريس بتمثيل دور هام فى احدى المآسى الكلاسيكية ونجحت فيه نجاحا باهرا . فكتب الفريد دى موسيه عنها مقالا قيما فى مجلة العالمين رفع من ذكرها . واعلى من شأنها . وجعلها ممن يشار اليهن بالبنان فى البيئات التمثيلية . فكان هذا المقال الفخم بمثابة ثمن تسلمته هذه الآنسة من الفريد (فى مقابل صلتها به) فلم تمانع فى هذه الصلة . بل رحبت بها تمام الترحيب . وبعد ذلك بسنتين سئم هذه الممثلة وعقد صلة جديدة مع ممثلة اخرى كانت قد بدات تسطع فى سماء باريس . وهكذا ظل الفريد يتنقل بين السيدات والاوانس تنقل النحلة من زهرة الى زهرة غير آبه بتلك الافئدة الكثيرة التى كان يستحقها على مر الشهور والايام بلا مبالاة منه ولا اكتراث حتى غادر الحياة فى ٢ مايو سنة ١٨٥٧ بعد أن راى مجده فوق قمة الحياة الادبية فى فرنسا .

وشاهد بعينيه كوكبه يتألق فى سماء اوربا كلها . اذ قد انتخب عضوا فى « الاكاديمى الفرنسية » وهذا مركز من اسمى المراكز الادبية كافة . وفوق ذلك فقد شاهد ان شباب الجيل اخذ يحفظ قصائده عن ظهر قلب . وان مجلة العالمين قد صارت تفتخر بادراج اسمه بين اسماء كتابها . وان المجتمعات والمنتديات الادبية على اختلاف انواعها امست تتباهى بتشريفه اياها فى سهراته الخاصة . وليس هذا كله طبعا بالشىء الهين او اليسير

وليست مسرحيات « ألفريد دى موسيه » عادية كمسرحيات غيره من الكتاب والشعراء . وانما هى مزيج من تأثيرات «راسين» و «ارستوفانيس » و«شكسبير» و « بيرون » و « ماريفو » و « بومارشيه ». ولكنها كلها تمتاز بطابع « الفريد دى موسيه» الخاص الذى لا يفارق اى كتاب من كتب هذا النابغة الموهوب . فانت اذا لاحظت ان موسيه متأثر فى هذه المسرحية او فى تلك بفلان او بفلان ، فانك تحس قبل هذه الملاحظة وبعدها انها لـ « موسيه » وان روحه القوية مودعة فيها ، وان عبقريته النادرة تتلالا بين سطورها . ويعرف القارىء هذه الروح حين يجدها ممثلة فيما يقرؤه من خفة ومرح ورشاقة وسخرية وعاطفة رقيقة كما يعرف العبقرية حين يراها ممثلة فيما يلاحظه فى هذه المؤلفات من دراسات نفسية بالغة حد العمق والدقة ، ومن تحليلات اجتماعية وأفية ، ومن صور عمرانية بارزة

❊ ❊ ❊

ألف الفريد دى موسيه كثيرا من المسرحيات القيمة : ١ « لا يمزح مع الحب » . (٢)« فيم تحلم الفتيات » . (٣) « اهواء ماريان » . (٤) «الكأس والشفاه » . (٥) « لا ينبغى القسم عن شىء »

واكثر هذه المسرحيات لا تزال الى اليوم تمثل بعناية فى ارقى مسارح فرنسا ، ولكن الدرامة الوحيدة التى تحققت فيها اكثر شروط المدرسة الرومانتيكية هى لورانزاسيو التى نستطيع أن نقول عنها بحق انها جمعت بين صفحاتها من العمق والتحليل والنفسيات والاجتماعيات اكثر مما حوته كبريات « درامات

هوجو » . وفوق ذلك فانها رمت الى غاية خلقية وانسانية ارتقت بها حتى تخطت حدود التاريخ الواقعى ، وهذه الميزة هى التى تتحصن بها المؤلفات ضد الشيخوخة والفناء والتى تسجل اسمها فى صحائف الخلود .

وقعت حوادث هذه الدرامة فى فلورانسا احدى مدن ايتاليا الجميلة ، وتتلخص فى ان الكساندر دى ميديس حاكم تلك المدينة الطاغية لم يكن له فى حياته هم الا الظلم والتعذيب والعهر والدعارة وكان له ابن اخ طاهر الروح ، نبيل العواطف ، طيب الخلق . فلم يرقه من عمه هذا السلوك المعيب ، تلك الاخلاق الدنسة فصمم على قتله ، ولكنه راى ان هذا مستحيل ما لم يتودد اليه وينزل معه فى حضيض مجونه ودعارته مجاراة له ليتمكن من القضاء عليه فى سهولة ، بيد انه لم يكد يجاريه فى هذا التيار الخطر حتى اصبح ممقوتا من الناس جميعا ، بل ومن نفسه هو اكثر من عمه الطاغية الداعر . والسبب فى مقته لنفسه هو انه أيقن بسوء مصيره وبأنه لن يقوى على النهوض من هذه الكبوة التى سقط بها فى الدنس . وكان هناك أحد كهول الوطنيين العقلاء ، فلما عرف سره وفهم قصده من الانغماس فى هذا الاثم شجعه على الوصول الى غايته واقنعه بأن الوقت قد حان لقتل هذا الطاغية الماجن ، فانتصح هذا الشاب بنصيحته . واسرع الى عمه فغمس خنجره فى صدره . ثم حاول بعد ذلك ان يعود الى حياة الطهر والاستقامة فلم يوفق مطلقا لان لذة الدعارة كانت قد تغلغلت فى نفسه ، ورسخت فى قلبه . فلم يطاوعه ضميره على البقاء فى الحياة على هذه الصفات الدنسة التى اتخذها بالامس مبررا لقتل عمه . فلم يسعه الان يسلم نفسه الى عسكر الوالى الجديد ليقتلوه ، وقد فعل

كتب دى موسيه هذه الدرامة فى تلك الايام المرة القاسية التى قضاها فى ايتاليا مع جورج صاند وقد شاء النقاد ان يروا بين سطورها اواخر اعوام شاعر نادى موسيه التى قضاها بين المجون والاستهتار ثم ماكان يحس به فى وسط هذا المجون من لذع ولوعة ، بل من يأس وقنوط جعلا حياته غاية فى الظلم والاكفهرار . ومهما يكن من شىء فان فى هذه المسرحية صورا فاتنة لالوان عدة من نواحى الحياة الخلقية والاجتماعية

محمود سامى البارودى

نشأ البارودى (١) فى بيت مجد مؤثل ، هو ابن حسن بك حسنى الذى كان من امـــراء المدفعية ثم صار مديرا لدنقلة وبربر على عهد محمد على ، ابن عبد الله بك الجركسى ينتهى نسبه الى المقام السيفى نوروز الاتابكى أخى برسباى قرا المحمدى .

والترك والجركس هم آخـر طبقة من الغرباء وفدوا الى مصر واتخذوها وطنا وتوالدوا فيهـا فأصبحوا مولدين . روى صاحب الهلال ان البارودى كان شـديد الحرص على معرفة نسبه ، وانه بذل نحو ٣٠٠٠ جنيه فى سبيل البحث عنه فى انحاء القطر ومراجعة النصوص وغير ذلك .

ولد صاحب الترجمة بسراى باب الخلق لثلاث بقين من رجب سنة ١٢٥٥ هجريه ، وفى سنة ١٢٦٢ توفى والده بناحية دنقلة وكان عمره اذ ذاك سبع سنين ، وفى ذلك يقول لما ناهز العشرين

لا فارس اليوم يحمى السرح بالوادى ... طاح الردى بشهاب الحرب والنادى
مات الذى ترهب الاقران صولتـه ... ويتقى بأســه الضرغامة العـادى
مضى وخلفـنى فى ســن ســابعة ... لايرهب الخصم ابـراقى وارعـادى
فان أكن عشـت فـردا بين آصرتى ... فهـأنا اليـوم فـرد بين أندادى

وقد علق الدكتور محمد صبرى على هذا بقوله :

---

١ ــ لما رأينا أن كتاب الاستاذ الفاضل الدكتور محمد صبرى الذى عنوانه : « ادب وتاريخ » قد اعتمد فيما كتبـه من تاريخ البارودى على مذكرات : احمد عرابى ومحمود فهمى ، والشيخ حسين المرصفى ، والشيخ محمد عبده ، وخليل مطران ، ومنشىء الهلال ، ولما لم نجد فى هذا الموضوع أدق من تلك المذكرات ولا أجمع لشتاتها من هذا الكتاب ، فقد اعتمدنا عليه ، بل أثبتنا نصـوصا من عبـاراته وتعليقـات مؤلفه مسنديها اليه ، فليتأمل ذلك .

هذا الشعر كما تراه متين محكم النسج نظمه فى سن صغيرة فما سر هذه القوة التى تجلت قبل الاوان فى عصر مقفر من الشعر الجيد ؟ . أهو فى تربيته القومية ام فى طبعه واستعداده ؟

شرع محمود سامى فى سن الثامنة يتلقى مبادىء العلم على اساتذة كانت تحضر فى منزله ، ودخل فى سنة ١٢٦٧ اى فى سن الثانية عشرة مدارس الحربية وتخرج منها برتبه باشجاويش سنة ١٢٧١ فى اوائل تولية سعيد باشا ، وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة ، ويقال انه كان يتعاطى صناعة الشعر فى اثناء دراسته .

اما تربيته الادبية فاليك ماقاله عنه الشيخ حسين المرصفى فى ـ الوسيلة الادبية ـ وكان من اعرف الناس به : ـ محمود سامى البارودى لم يقرأ كتابا فى فن من فنون العربية ، غير انه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراسة وهو يقرأ بعض الدواوين او يقرأوهو بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن .. ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها ، ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالامراء ـ

اما فيما يتعلق بالوراثة فقد قال البارودى :

أنا فى الشعر عريق	لم ارثه عن كلاله
كان ابراهيم خالى	فيه مشهور المقاله
وسما جدى على	يطلب النجم فناله

ويقول الدكتور صبرى تعليقا على هذا :

لا اظن ان خال البارودى كان شاعرا يمتاز عن اهل عصره ، ولكن لعل البارودى وجد فيه مشجعا على قول الشعر كما وجد فى المعالى التى يفخر بها ، وفى معاهد العز والشباب التى درج فيها

ولكن كل هذا لا يكفى لان يبرز شاعرا غض الاهاب على معاصريه ثم يجرى حبله على غاربه حتى يلحق فحول المتقدمين قبل ان يطوى برد الشباب

اذن كان سر قوة هذا الشاعر فى طبعه ، وكانت فى قرارة نفسه عين كامنة مالبثت ان وجدت منفذا ضئيلا فتفجرت بالسحر الحلال ولم تنضب . روى الاستاذ خليل مطران فى فصل رائع : « لقد تسامحت يوما بدالة الود فسألته اية حالة من احوال حياتك كنت فيها اميل الى الشعر واكثر اشتغالا به ؟ فأجابنى ان خطرات الشعر صحبتنى فى ايامى كلها ولم تفارقنى الا فى اقلها -

على ان من يقرأ شعر البارودى يرى ماء الطبع يترقرق فيه ، قال هو عن نفسه فى كلمة افتتح بها ديوانه : - ولقد كنت فى ريعان الفتوة واندفاع القريحة بتيار القوة الهج به لهج الحمام بهديله وآنس به أنس العديل بعديله ، لا تذرعا الى وجه انتويه ولا تطلعا الى غنم احتويه وانما هى اغراض حركتنى واباء جمح بى وغرام سال على قلبى ، فلم أتمالك أن أهبت فحركت به جرسى ، أو هتفت فسريت به عن نفسى - ثم روى بيتين قالهما فى هذا المعنى :

تكلمت كالماضيين قبلى بما جرت ... به عادة الانسان ان يتكلما
فلا يعتمدنى بالاساءة غافل ... فلا بد لابن الايك ان يترنما

الثورة العرابية

اجمع اكثر المؤرخين على القول بان الثورة العرابية كانت ثورة وطنية مصرية ترجع اسبابها الى الظلم الذى اخنى على البلاد فى ايام اسماعيل ، والى تدخل انجلترا وفرنسا فى فروع الادارة المصرية تمهيدا للاحتلال الثنائى الذى تفردت به انجلترا فيما بعد تحت ستار الثورة التى كانت تعمل فى الحقيقة على ازالة اسبابه واجتثاث اصوله

بدأ احرار المصريين فى اواخر حكم اسماعيل واوائل حكم توفيق يطلبون صراحة العدل والدستور لخلاص البلاد مما هى فيه ، وانضم البارودى من اول الامر الى زعماء الحركة ، وكان من مشجعيها سرا . روى المرحوم عرابى باشا فى مذكراته انه فى سنة ١٨٧٩ على أثر حادثة المالية التى دبرها اسماعيل وأراد أن يلصق تبعتها بمحمد بك النادى وعلى الروبى ، واحمد عرابى دعاهم رئيس التشريفات عبد القادر باشا حلمى فتفاهموا معه ، ثم دعاهم محمود باشا البارودى وكان وقتئذ مأمور الضبطية

فصارحوه القول ، وهنـــا قال عرابى بالنص عن محمود سامى
ـ وآنست فيه تأففا من الظلم وميلا الى العدل والدستور ـ

ولما صعد الامير محمد توفيق الى العرش هنأه بقصيدة قال فيها : فيها :

امران ما اجتمعـا لقـائد أمة   الا جنى بهـما ثمار السؤدد
جمع يكون الامر فيمـا بينهم   شورى وجند للعـدو بمرصد

وهنا يحدثنا الدكتور صبرى بمرمى البارودى من هذا الشعر فيقول :

اراد بالـ ـ جمع ـ مجلس النواب ، وبالـ ـ جند ـ الجيش وهذا واضح ، فانظر الى شجاعة الشاعر واخلاصه لوطنه كيف دعاه فى ذلك الزمن غير المأمون الى المجاهرة بتلك الحقيقـــة الكبرى وسط التهنئة والمديح ، والبـــارودى هو خير من لخص اغـــراض العرابيين فى بيت من الشعر ، وهل هناك دواء انجع من مجلس يحكم البلاد وجيش يحميها ؟ وهل هناك وسيلتان اخريان لتحقيق ثورة الاصلاح التى كانت البلاد بحاجة اليها ؟

عين الخديوى توفيق فى اوائل حكمه محمـــود سامى وزيرا للاوقاف المصرية فسعى جهده فى اصلاحها ، ويقال انه كان فى ذلك الوقت يشجع الحـــزب الوطنى سرا مع ان القوة العاملة لهذا الحزب كانت فى الجيش حيث اســـتحكم العداء بين المصريين والعنصر التركى الشركسى الذى ينتمى اليه البارودى ، وهذا يدل على حب العدل الذى بنى عليه .

ولما حدثت المظاهرة العسكرية الاولى ضد عثمان رفقى الشركسى ناظر الجهـادية وطلب عرابى من الخديوى توفيـق عـزله ، أجابه الخديوى الى طلبه واحال هذه النظارة الى محمود سامى الذى اصبح ناظر الجهاديه والاوقاف معا .

اجتهد البارودى فى اصلاح ـ الجهادية ـ المختلة فطلب الى رئيس الوزارة رياض باشا زيادة مرتبات الضـــباط والعساكر وتعـــديل النظامات والقوانين العسكرية ، ووقع الخــديوى توفيق على هـــذا الطلب فى ١٢ ابريل سنة ١٨٨١ ففرح الناس واقام محمود سامى احتفالا دعا اليه النظار والمفتشـــين ، وكان

يوماً عظيما خطب فيه رياض ومحمود سامى واحمد عرابى واثنوا على الخديوى

وفى ٢٥ يولية من هذه السنة بينما كان الخديوى مصيفا فى الاسكندرية صدمت عربة احد التجار جنديا فقتلته لساعته فحمله رفقاؤه الى سراى رأس التين وطلبوا الى الخديوى النظر فى امره ، فهاجه ذلك وامر بعقد مجلس حربى حكم عليهم بالاشغال الشاقة او بالنفى الى السودان فشكا عبد العال حلمى امرالاى السودانية من قسوة الحكم ، وعرض محمود سامى تلك الشكوى على الخديوى فشق ذلك عليه، واعتقد ان محمود سامى كان يعمل باتفاق مع العرابيين ، فدعا فى الحال النظار من القاهرة الى الاسكندرية ، وقدم البارودى استعفاءه ، وعين مكانه داود يكن ابن عم الخديوى .

والراجح ان الذى دفع محمود سامى الى عرض هذه الشكوى هو اعتقاده عدالتها ، ولكن يظهر ان ذوى الاغراض القوا من الدسائس فى حقه عند الخديوى فاشار الى ذلك بقوله :

نقموا على حميتى فتألبوا ... حربا على وأجمعوا ما أجمعوا
وسعوا بفريتهم فلما صادفوا ... سمعا يميل الى الملام توسعوا
لا عيب فى سوى حمية ماجد ... والسيف يغلبه المضاء فيقطع

ويقال : ان هذا مبدأ العداوة بين الخديوى ومحمود سامى ، ومبدأ التحالف بين عرابى ومحمود سامى .

عاد النظار بعد ذلك الى القاهرة وانتظمت الامور فى الظاهر ، وعاد اليها الخديوى فى شهر سبتمبر وسرعان ما اصدر داود يكن امرا الى الاى القلعة بالتوجه الى الاسكندرية ، والاى الاسكندرية بالحضور الى العاصمة ، فتوجس عرابى خيفة وفهم ان المقصود تفريق كلمتهم هو واعوانه . روى محمود فهمى بالنص : - لما استعفى محمود سامى من نظارة الجهادية وتوجه الى منزله فى القاهرة توجه اليه احمد عرابى سرا فى الليل وتعاهد معه على مساعدته ومعاضدته ، هذا قول عرابى لى ، والا فانا ماكنت اعرف هذا ، ولما استوثق عرابى من معاضدة محمود سامى له ، عاد الى منزله وتوجه فى صباح ثانى يوم الى العباسية واتى اليه

طلبة عصمت يبث له ماوقع فيه فخاطب فى الحال عرابى الالايات وطلب منهم ان يستعدوا للحضور فى ميدان عابدين -

هذه رواية من الاهمية بمكان لان هذه الفترة اول عصر الثورة ولابد ان يكون عرابى قد استوثق اولا من تأييد محمود سامى وبعض كبار الوطنيين له قبل كتابته الى الخديوى والى نظارة الجهاديه يخبرهم - ان الجيش سيحضر الى سراى عابدين بخصوص طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد - فان هذه الطلبات اصبحت قومية لامحدودة كما كان الامر من قبل ، لذلك لقيت تأييدا من الشعب وبدأت الثـــورة التى ترمى الى الاصلاح العام .

اجتمعت الالايات فى عابدين كما هو معلوم فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وطلب عرابى باسم الجيش الذى هو قوة الامة التنفيذية - اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس نواب ، وزيادة عدد الجيش -

توريد أغذية
للمستشفيات الجامعيـة بالقـاهرة

تقبل عطاءات بمكتب حضرة مدير مخازن المستشفيات الجامعية بمنيل الروضة بالقاهرة (القصر العينى الجديد) لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر الايام المبينة بعد عن توريد بعض أصناف الاغذيه اللازمة للمستشفيات المذكورة لعام ١٩٥٣/١٩٥٤ على أن يكون كل عطاء مصحوبا بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته الاجمالية

التـــاريخ	المناقصة
السبت ١١ يولية ١٩٥٣	مناقصة الفراخ والارانب والبيض
الاحد ١٢ يولية ١٩٥٣	مناقصـــة الفـاكهة الطازجـة
الاثنين ١٣ يولية ١٩٥٣	(١) مناقصـه الارز والفـول والعـدس والبقول الجافة
	(٢) مناقصـة الزبدة الطازجة

ويمكن الحصول على قوائم هذه المناقصات من مخازن المصلحة بمنيل الروضه بالقاهرة مقابل ٢٥٠ مليما لكل قائمة وتقدم طلبات شراء القوائم على ورق مدموغ من فئة ٥٠ مليما

٤٩٠٤

فتردد الخديوى ثم عين شريفا رئيسا للوزارة مكان رياض الذى كان مكروها ، ولم يقبل شريف الا بعد أن تعهد له رؤساء الحزب العسكرى باطاعة اوامره ، وقدم له عمد البلاد ضمانة ولما دعى محمـــود سامى لتقلد وزارة الجهادية اجاب بـ - انه عقـد النية على ان لايتقلد خدمة من خدمات الحكومة مادام لرجال العسكريه سلطان يعلو سلطان القانون - . ولكنه قبل بعد الحاح .

وفى ٢٢ سبتمبر وافق الخديوى على القوانين العسكرية . وفى ٤ اكتوبر اعتمد لائحـــة مجلس النواب الذى تم انتخاب اعضائه فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ وكان مؤلفا من ٨٢ عضوا تحت رياسة سلطان باشا ، وكان من الممكن ان تسير الامور بالنظام لو لم يكن اعداؤنا بمرصد يدسون بين هذا وذاك ، ويحرضون هذا على ذلك ويحركون المطامع والشهوات حتى وجدوا بفضل داء الشخصيات الذى ينغل فى جسم الامة فرجة توصلوا بها الى كبد البـــلاد فطعنوها فى الصميم

وما وافق الخديوى توفيق من مبدأ الحـركة الى منتهاها على جميع الاجراءات والمطالب الا مكرها ، كان للسراى حزب ، وكان العرابيون منقسمين الى متطرفين امثال : عرابى ، وطلبه ، وعبـد العال ، وعبد الله نديم ومعتدلين امثال : عبد السلام المويلحى ، ومحمود سامى ، وشريف ، وغيرهم لذلك كان الخصم آمنا مطمئنـا لم يزعجه انعقاد مجلس النواب لعلمه ان فرص الخلاف كثيرة ، وانه سيعرف كيف يخلقهـــا ويستفيد منها ، ويحـول بين المصريين وبين التمتع بمجلس النواب الذى هو عمود الثـورة السلمية المنظمة .

ارسلت انجلترا وفرنسا فى ٧ يناير سنة ١٨٨٢ مذكرة ثنائية الى الخديوى تقولان فيها : - أنهما مواطدانه ومثبتانه عـلى الاريكة الخديوية - فوقعت هذه المذكرة فى القاهـرة ، كما قال السير مولى ، كالقنبلة ، وكان الغرض منها خلق الفتن وتهيئة جو صالح للتدخل .





وكان شريف باشا قدم فى ٢ يناير سنة ١٨٨٢ الى مجلس النواب اللائحة الاساسية الجديدة التى اعدها له ، وبعد فحصها وقع الخلاف بين النواب والنظار بشأن المواد المتعلقة بالميزانيه ، وكان سلطان باشا وبعض النواب يؤيدون شريفا فتدخل وكيلا فرنسا وانجلترا معارضين فى حق مجلس النواب فى تقرير الميزانية ، فكان تدخلهما مثيرا للشكوك ، داعيا لاستحكام الخلاف ، وانتهى الامر باستعفاء شريف باشا وتأليف وزارة برياسة محمود سامى البارودى وتعيين احمد عرابى وزيرا للجهادية ؛ فسر الحزب الوطنى بهذا الانتصار ووردت التهنئات من كل صوب ، واعتبرت هذه اول وزارة وطنية مصرية ينتمى رئيسها الى حزب الثورة

وفى يوم الاربعاء ٨ فبراير ذهب محمود سامى الى مجلس النواب ومعه اللائحة بعد ان وافق عليها مجلس النظار فقوبل بالشكر والتبجيل • ثم وقف محمود سامى خطيبا فى المجلس فقال :

« ايها السادة النواب اننى سعيد الطالع بحضورى بينكم حاملا الى حضراتكم القانون الاساسى •• الا اننى أعلم كما تعلمون ان مجرد وضع القانون على اصول الحرية وقواعد العدالة لا يكفى فى وصولنا الى الغاية المقصودة من اجتماع حضراتكم ، بل لابد ان ينضم الى ذلك خلوص النية من كل واحد منكم فى المحافظة على حدود هذا القانون ودقة النظر فى الوقوف عندها بحيث تكون جميع الاعمال والافكار منحصرة فى دوائرها • وقد قال عقلاء السياسيين ان الوصول الى هذا النوع من الكمال أعنى حصر جزئيات الاعمال وكلياتها فى دائرة القانون انما ينال بعد العناء وطول التجارب ولكنى لا اعد هذا صعبا عليكم »

« وفى املى انكم ستحققون مايظن احباء البلد فيكم عندما تبتدئون فى الاعمال المهمة التى تهيأتم الان لمباشرتها بأن تستعملوا صادق الظن للوقوف على ما فيه خير بلادكم • وتوجهوا الى ذلك ماضى الهمم حتى لا يضيع الزمن الطويل فى الحصول على فائدة قليلة • وهذا لايكون الا بتخليص الافكار • وتمحيص الطوايا من

شوائب النزعات الشخصية بأن نجعل الاعمال وقفا على المصالح العمومية التى نفعها فى الحقيقة عائد عليكم وعلى ابنائكم »

« ان التفات النظر الى الخصوصيات يبعث فى القلب محاسدات ومناظرات تحمل على الخلاف الدائم وانكم تعلمون ان الذين رقوا الى ذروة العز واوج الشرف لم ينالوا ذلك الا باخلاصهم فى طلب النفع العام فاعترف العالم بفضلهم وأجلتهم القلوب وأحلتهم اعلى المنازل فثبتوا فى مكانهم ماداموا بحلية الاخلاص » ثم ختم قائلا :

« واخر ما نتواصى به ان لا نجعل التعصب المشربى دخلا فى الاعمال الوطنية التى كلفتكم البلاد ان تقوموا بأدائها ، وان تكون الوطنية الحقيقية هى الباعث القوى على كل فكر ، والغاية القصوى من كل قول وعمل »

ومن تعليق الدكتور صبرى على خطاب البارودى ما يلى :

هذه خطبة اخلق بها ان نكتب بماء الذهب فهى صيحة اخلاص فى ساعة الخطر تشف عن جو باطن وداء دخيل

وسرعان ما سعت انجلترا أو فرنسا فى خلق الارتباكات وتعقيد الامور للقضاء على الثورة والاستيلاء على مصر .

بلغ عرابى ان طائفة من ضباط الشركس يعملون على الكيد له فعقد مجلسا حربيا وقرر نفيهم الى الاقطار السودانية ، فعارض الخديوى ، وتصلب عرابى ، وكان هذا مبدأ دخول الثورة السلمية فى طريق العنف والارتباك والاضطراب التى لعبت انجلترا تحت ستارها دورا كبيرا ختمته بمأساة الاسكندرية ، وسعت انجلترا الخلاف بين الخديوى والعرابيين ، فدعا الخديوى قنصلى انجلترا وفرنسا وقال لهما : ان حياة الاوروبيين فى خطر فانزعج القنصلان وذهبا الى رئيس الوزارة محمود سامى ، وناظر الحربية احمد عرابى فأكدا لهما ان لا خوف من ذلك

فى هذه الساعة انفلت «عيار» الثورة وجمحت الحوادث عجلى ، وكثرت المجالس الليلية والاجتماعات وظن الناس الظنون . وبينما

كان بعضهم يعمل على رتق الخرق قبل ان يتسع وردت انباء مجيء الاساطيل الى المياه المصرية وارسال الدولتين بلاغا اخر بالاتحاد مع سلطان باشا رئيس مجلس النواب تطلبان فيه اسقاط الوزارة واخراج عرابى من القطر المصرى ، فلم تقبله الوزارة وقبله الخديوى الذى كان جل اعتماده على انجلترا وبناء عليه استعفت الوزارة وكان ذلك فى ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢

من هذا التاريخ الحافل بالاحداث والمصادفات ، المفعم بانواع المجد والوان الكوارث والنكبات ، الناطق بالعبر والعظات الصالح لان يكون قبسا يسير على نبراسه الوزراء والعظماء ، ونموذجا يحتذيه القادة والرؤساء ودرسا فى الشجاعة والاباء ، يستفيد منه الكتاب والشعراء وسبيلا ممهدة نحو العلياء ، تدفع اهل الارض الى التطلع صوب السماء .

من هذا التاريخ يتبين ان البارودى احد « الرومانتيكيين » فى راى استاندال « Stendhal »

وهو الى جانب ذلك شاعر الثورة العرابية فى راينا

هو « رومانتيكى » لان منتجاته كانت متجاوبة مع حاجات بيئته الى أبعد حدود التجاوب ، وانه استطاع أن يرسم ما الم بمواطنيه فى عهده من آلام وارزاء ، وبؤس وشقاء . وما عم فى مصر اذ ذاك من اعتلال تبعه اختلال . وانحلال اعقبه احتلال ، وطغيان اعتمد على قوة الغاصبين . ووجد له انصارا من سفلة المتملقين واعوانا من أوغاد الوصوليين فكان حربا على المخلصين وكارثة صدمت الوطنيين الفدائيين ووباء اجتاح الاوفياء وبلاء اختص به الشرفاء

وقد استطاع البارودى ان يصور هذا كله فى شجاعة لا تعرف الاستخذاء ، وصرامة لا تألف الانحناء . بل قد جابه ذوى السلطان بما يكرهون وواجه ارباب الصولجان بذم ما يفعلون فاستشاط غضبهم واستثار سخطهم وخسر مودتهم ورضاهم ولكنه فاز بمودة الوطن ورضى التاريخ ، وليس أدل على ذلك من تلك اللوحة الخطيرة

التى رسم فيها لمصر فى عهـــد الخديوى توفيق صوره ســوداء قاتمة تنقبض لمرآها النفـوس ، وتنهصر من هولها الافئدة وعزا السبب الاساسى فى وجودها الى تلك الشرذمة الفاسدة المفسـدة المؤلفة من رجال الحاشية وكبار المسئولين من الوزراء والمستوزرين الذين لا يعفون فى نيل اغراضهم عن ادنى الدنايا واحط المخـازى والمخجـلات ، وارتكاب أفظع الجرائم والموبقات ولا يبالون بخلق او دين او وطن او تاريخ ، والذين بلغوا من القذارة حـدا يجعل حوائط الدواوين - وهى جمـادلا يشعر ولا يحس - تتقزز منهم وتكاد تلفظهم الى عرض الطـريق وما ابدع قوله فى هذا :

قامت به من رجال السوء طائفة ... أدهى على النفس من بؤس على شكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه ... بغضا ويلفظـه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العزواضطربت ... قواعد الملك حتى ظـل فى خلل

ولم يكن البارودى فى هــذا الموقف شـاعرا محايدا يرسم ما يراه مما هو كائن دون مبـالاة ولا اكتراث ، وانما كان وطنيـا حساسا وفيا لمصر يحز فى قلبه ما يصيبها • ينخر فى عظامه ما يؤلمها • فتدفعه هــذه الحاجة الملحة الصادرة عن قلب الى البحث عن العلاج العملى لهذه العلة التى كانت قد استشرت وعم بلاؤها ، وعز دواؤها فيقول :

فبادروا الامر قبل الفوت وانتزعوا ... شكالة الريث فالدنيا مع العجل
وطالبوا بحقوق أصبحت غرضا ... لكل منتزع ســهما ومختتـل
حتى تعود سماء الامن ضاحية ... ويرفل العدل فى ضاف من الحلل

ولم يحصر البارودى تبعـة هذا التدهور فى اولئـك الاوغاد المشائين بنميم ، المفسـدين لكل قويم سليم • وانما القى قسـطا كبيرا من التبعة ، بل من الاثم على الخديوى • لانه اذن ســماع للاكاذيب سـهل الانقيـاد امام الالاعيب ، ولانه لم يقـدر على تمييز الحق من الباطل • فانتهى به الامر الى نبذ الرفيع واحتضان السافل ، فكان لهذه التصـرفات نتائج محتومة • ونهايات مشئومة

على الوطن والوطنيين والاخلاص والمخلصين ولكن البارودى قد سخر من رضى الخديوى اوسخطه ، واعتذر عن تشهيره بالمفسدين بأنه طبيعة فيه لاتغيرها تقلبات الزمان . ولا طوارىء الحدثان لانها كطبيعة السيف اذا اشتد مضاؤه ، وقع قضاؤه وفى هذا يقول :

نقموا على حميتى فتألبوا ... حربا على واجمعوا ما اجمعوا
وسعوا بفريتهم فلما صادفوا ... سمعا يميل الى الملام توسعوا
لا عيب فى سوى حمية ماجد ... والسيف يغلبه المضاء فيقطع

ولما تفاقمت العلة وعم الفساد واضطربت الامور ، وكثرت الفتن وانهارت الاخلاق ورانت على القلوب طبقة كثيفة مؤلفة من قتومة الرذائل والاثام ، اهتز صرح الامن وتزلزل عرش النظام واختلط الحابل بالنابل ، ورفع الفرصيون عقيرة الايقاع . ونهش الوصوليون اعراض الكرماء . وطعن الدساسون فى سلوك الفضلاء . وانهارت المبادىء الثابتة ، وزالت معالم الاوضاع المقررة وشمل العسف كل الطبقات واحدق الطغيان بجميع البيئات ، لا يستثنى من ذلك الا الذين فقدوا علائم الانسانية . وطبعت نفوسهم بطوابع الاثرة البغيضة ، والانانية المقيتة ، وتحللوا من جميع القيود واصبحوا لا يجيدون الا الركوع والسجود . وفقدوا كل امارات الاباء . ونبغوا فى الخداع والدهاء وأجادوا لعبات الانكماش والانحناء ، عند ذلك اشتد الظلم . وثبتت اقدام الجور . واندثرت آثار الحقوق المشروعة فتخلى المالك عن ملكيته زهدا فيها وفرارا من المساهمة فى الحياة العامة التى اضحى نتنها يؤذى الانوف

واهمل الزارع الارض بغضا فى سوء الثمار التى ينتجها مجهوده وارتعدت فرائص التاجر الذى وظف ثروته وقذف بها فى سوق لا تؤمن عاقبته . ولا تكبح غائلته فنشط فى استردادها ، ونجم عن ذلك ان اصيبت الحركتان الزراعية والتجارية بشلل كلى خطير ، وامسى الرجل اذا اوى الى منزله ليلا لا يطمئن للبقاء فيه حتى يصبح . واذا اصبح لا يثق بالثواء حتى يمسى . وجعل الصديق يحذر صديقه . والزوج يحتاط من زوجته والمحكوم

يمقت الحاكم ويحقد على المقربين منه اشر الوان الحقد واكثرهـا اندلاعا ، وطفق الحكام يعبـون من دماء الامة حتى ارووا ظمأهم وارضوا جشعهم

ولقد كان فى مصر ابان هـذا كله قوم يحسون بفداحة الخطب ويشعرون بهول المصاب، وينوءون بثقل العبء • ويتبرمون بكل هذه الاوضاع • ويتوقعون منهـا أسوأ النتائج ويجزمون بأن الطغاة يرقصون على بركان لا يلبث ان ينفجر فيبتلعهم وهم فى غمـرة ساهون ، وفى ثمل يضـحكون وان المنقذ من هذه الوهدة هـو ان يشهر المتذمرون سيوفهم فى وجوه الطغاة ليردوهم عن غيهم • ويرجعوهم الى صـوابهم ، اويلقوا بهم فى هوة العدم السحيقة واذا دق رأس الافعى أصـبح أذنابهما سلبيين أو ضئيلى الخطر على اقل تقدير • وقـد تجاوب شعر البارودى فى هذه الناحيـة ايضا مع احاسيس الامة ومشاعرها شأنه فى كل مواقفها ، فلم يقصر شعره على الغـزل والنسيب والتدله والتشبيب • والثنـاء والهجاء • كما فعل قدماء الشعراء وانما تعدى ذلك الى افانين الحياة العصرية ، فسـايرت منتجاته حاجات وطنه ومواطنيه • وكان مرآة ارتسمت فيها صورة بيئته خير ارتسام ، ولم يشأ أن يهمل جانبا من جوانب حياة معـاصريه دون ان يمنحه حظا من العنايه • او يغفل ناحية من نواحى المجتمع الذى عاش فيه دون أن يختصها بقسـط من الرعاية ، فتحـدث عن سوء الحالة العامة • ورسم عسف الطغاة وملق المستذلين • وحيرة المترفعين • وضيق صدور المخلصين • وتبرم الاشراف بكل ما فـوق ارض الوادى وتحت سمائه ، وصور شغفهم بانقـلاب ينقذهم مما يكتم انفاسهم ويخنق حريتهم فانشأ فى رسم هـذه اللوحة القاتمة القابضة يقول :

كنا نود انقـلابا نسـتريح به ... حتى اذا تم ساءتنا مصـائره
فالقلب مضطرب فيما يحـاوله ... والعقـل مختبل ممـا يحاذره
ان دام هذا اضاع الرشد كافله ... فيما ارى واضاع الغى زاجره
تنكرت مصر بعد العرف واضطربت ... قواعـد الملك حتى ريع طـائره

فأهمل الارض جر الظلم حارثها   واسترجع المال خوف العدم تاجره
واستحكم الهول حتى ما يبيت فتى   فى جوشن الليل الا وهو ساتره
انى ارى انفسا ضاقت بما حملت   وسوف يشهر حد السيف شاهره
شهران او بعض شهر ان هى احتدمت   وفى الجديدين ما تغنى فواقره
فان اصبت فعن راى ملكت به   علم الغيوب وراى المرء ناظره

وما ادق تصويره لعمعان الحرب الطاحنة التى دارت رحاها فى كريت والتى ساهم فيها شاعرنا بنصيب الاسد لاخضاع الثائرين على سلطان الدولة العلية اذ يقول فى هذا التصوير ما يلى :

ملئوا الفضاء فما يبين لناظر   غير التماع البيض والخرسان
فالبدر أكدر والسماء مريضة   والبحر اشكل والرماح دوان
والخيل واقفة على ارسانها   لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا   يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح اسفر وارتمت   عيناى بين ربا وبين مجان
فاذا الجبال اسنة ، واذا الوها   د اعنة والماء احمر قانى
فتوجست فرط الركاب ولم تكن   لتهاب فامتنعت على الارسان
فزعت فرجعت الحنين وانما   تحنانها شجن من الاشجان
ذكرت موارها بمصر واين من   ماء بمصر منازل الرومان

والان حسبنا هذا عن البارودى لضيق المجال من جهة، ولمحدودية المصادر عنه من جهة ثانية . ولنتجاوزه الى شاعر اخر هو اوسع افقا واغزر انتاجا والصق بالحياة المصرية العصرية هو المغفور له احمد شوقى باك ؛ فاليه نسوق الحديث .

بنك مصر وشركاته

يتقدم بالتهنئة الصادقة بعيد الفطر المبارك ويدعو الله ان يعيده على شعب النيل وهو متمتع بالحياة الحرة الكريمه وعلى الانسانية جمعاء بالهناء والسلام .

احمد شوقى

سمعت (١) أبى رحمه الله يرد أصلنا الى الاكراد فالعرب ويقول : ان والده قدم هذه الديار يافعا يحمل وصاة من احمد باشا الجزار الى والى مصر محمد على باشا ، وكان جدى وانا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابه العربية والتركية خطا وانشاء، فأدخله الوالى فى معيته ، ثم تداولت الايام وتعاقبت الولاة ، وهو يتقلد المراتب العالية • ويتقلب فى المناصب السامية الى ان اقامه سعيد باشا امينا للجمارك المصرية • فكانت وفاته فى هذا العمل عن ثروة واضية بددها ابى فى سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم وعشت فى ظله وانا واحده اسمع بما كان من سعة رزقه ولا ارانى فى ضيق حتى اندب تلك السعة فكأنه راى لى كما راى لنفسه من قبل الا اقتات من فضلات الموتى الى ان يقول : انا اذن عربى ، تركى يونانى ، جركسى بجدتى لابى :اصول اربعة فى فرع مجتمعة تكفله لها مصر كما كفلت ابويه من قبل ••••

اما ولادتى فكانت بمصر القاهرة ، وانا احبو اليوم الى الثلاثين ، حدثنى سيد ندماء هذا العصر المرحوم الشيخ على الليثى قال : لقيت اباك وانت حمل لم يوضع بعد ، فقص على حلما رآه فى نومه ، فقلت له وانا امازحه •• « ليولدن لك ولد يخرق ــ كما تقول العامة ــ خرقا فى الاسلام »

ثم اتفق انى عدت الشيخ فى مرض الموت وكانت فى نسخة

---

(١) اعتمدنا فى تاريخ المغفور له احمد شوقى بقلمه على رواية الامير شكيب ارسلان فى كتابه « شوقى أو صداقة أربعين سنة » وعلى رواية الدكتور احمد زكى ابو شادى فى العدد الخاص من مجلة « ابولو » الذى ظهر بعد وفاة أمير الشعراء .

من جريدة الاهرام فابتدر خطابي يقول : هذا تأويل رؤيا ابيك ياشوقي ، فوالله ماقالها قبل في الاسلام احد ، قلت : وما تلك يامولاي ؟ قال قصيدتك في وصف « البال » التي تقول في مطلعها :

حف كأسها الحبب   فهي فضة ذهب

وها هي في يدي اقرؤها ، فاستعذت بالله وقلت : الحمد لله الذي جعل هذه هي « الخرق » ولم يضر بي الاسلام فتيلا • اخذتني جدتي لامي من المهد ، وهي التي ارثيها في هذه المجموعة وكانت منعمة موسرة فكفلتني لوالدي ، وكانت تحنو على فوق حنوها ، وترى لي مخايل في البر مرجوة •

ثم عرض لنشأته الدراسية فذكر انه دخل مكتب الشيخ صالح في الرابعة من عمره ، واخيرا التحق بمدرسة الحقوق فوجد ممانعة من ناظرها بسبب صغر سنه ، ومكث بها سنتين ثم دخل قسم الترجمة وتخرج فيه بعد سنتين •

وبعد ذلك يروى لنا الدكتور احمد زكى ابو شادى فى العدد الرابع من مجلة « ابولو » ان المغفور له احمد شوقى استمر فى سرد تاريخ حياته فوصف فى ذهابه الى اوروبا لدراسة الاداب الفرنسية والحقوق ، وكيف تقبل دعوة رفاقه الفرنسيين الى مدنهم المتفرقة فى الجنوب وقضى فيها شهرين ، وقد صور مارأى فى هذه الاقاليم الفرنسية من كرم الضيافة فقال :

عرفت الفلاح الفرنسى فى داره وكنت القاه فى مزرعته واماشيه فى الاسواق ، فيخيل الى انه قد خلف العرب على قرى الضيف واكرام الجار ، وكان اعجب مارايت مدينة « كاركاسون » وجدتها قسمين • والفيت القوم فيها صنفين فمنهم الباقون الى اليوم كما كان آباؤهم عليه فى القرون الوسطى ، بناؤهم ذلك البناء • ولباسهم ذلك اللباس • وعاداتهم واخلاقهم تلك العادات والاخلاق

وبعد انتهائه من السنة الثانية سافر فى صحبة الطلاب المصريين ومدير الارسالية الى انجلترا على نفقة الخديو توفيق ومكث فيها شهرا ولم يلبث هو واخوانه ان سئموها . وفى السنة الثالثة

اصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت واشار عليه الاطباء ان يقضى اياما تحت سماء افريقيا فوقع اختياره على الجزائر . وكان دليله اليها احد القضاة الفرنسيين الموظفين بها . وهو فى هذا يقول :

أما جو الجزائر فلا يعدله بين الاجواء فى صحوه وطيب نسمته مع توقد شمسه الا جنوب فرنسا ولم اتاثر فيها بشىء كتأثرى من رؤية المصريين فى القهاوى البلدية اذ اكثر اصحابها وغلمانها منهم ...

ولا عيب فى الجزائر سوى انها قد مسخت مسخا ، فقد عهدت مساح الاحذية فيها يستنكف من النطق بالعربية . واذا خاطبته بها لم يجبك الا بالفرنسية !

ثم يحدثنا الكاتب بعد ذلك ان امير الشعراء بعد ان اقام فى الجزائر اربعين يوما عاد الى باريس وحصل على الشهادة النهائية . ورأى الخديو عباس ان يبقى ستة اشهر اخرى وعاد الى مصر على أثرها . وفى سنة ١٨٩٦ ندب لينوب عن مصر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى جنيف بسويسرا ، فأقام بها شهرا ثم رحل الى بلجيكا وزار المعرض الذى اقيم فى مدينة « انفرس » ثم اصيب بمرض فى عينيه فسافر الى الاستانة ومكث بها اربعين يوما .

ويحدثنا فى مذكراته عن سبب تسميه ديوانه بـ « الشوقيات » فيذكر صلته وهو يطلب العلم فى باريس بالامير شكيب ارسلان وكيف تمنى أن يرى مجموعة شعره بعنوان « الشوقيات » ثم يقول .. كانت وفاة والدى من نحو ثلاث سنوات ، فكان لى عجبا ان وجدت بين اوراقه شيئا كثيرا لى من مشتت منظومى ومنثورى ما نشر منهما وما لم ينشر ، قد كتب بعضه بالحبر . والبعض الاخر بالرصاص والكل بخط يد المرحوم ، وقد لفه فى ورقة كتبت عليها هذه العبارة :« هذا ما تيسر لى جمعه من اقوال ولدى احمد وهو يطلب العلم فى اوروبا ، فكنت كأنى اراه ، وانى

آمره ان يجمعه ثم ينشره للناس لانه لا يجد بعــدى من يعتنى بشئونه ، وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والآداب »

فبينما انا ذات يوم تعب بهذه الاوراق ، حيران لوصــية الوالد كيف أجريها ، اذ زارنى صديقى مصطفى بك رفعت فحــدثته حديثى فسألنى أن أعيره الاوراق اياما ثم يعيدها الى ففعلت ، ثم لم يمض شهر حتى بعث بها الى واذا هى قد نسخت بقلم سليم يؤيده ذوق صحيح بحيث لم يبق الا ان تدفع الى الطابع فأخذتها ، وبودى لو وفيت صديقى المشار اليه حقه من شكر الصنع ، وانا اقول فى نفسى : لئن صدق ابى فى الاولى ، لقد ظلم فى الثانية فان الخير لا يزال فى الناس .

ثم يعلق الدكتور احمــد زكى ابو شادى على هــذه المذكرات بقوله :

الى هنا انتهى ماكتبه الفقيــد بقلمه عن حياته ، وكان قد بلغ فى ذلك الوقت — وهو ما انقضى عليه اكثر من ثلاثين عاما — قمة الشهرة فكان يدعى : « امــير الشعراء » فى مصر وغــيرها من اقطار العــالم العربى ، ومازال الزمن يمضى به ، ومجده فى امارته يزداد تألقا ، فان الســنين التى قضاها شوقى بعــد ذلك كانت حافلة بالعظائم ، اذ قضى حوالى خمسة عشر عاما ينشر عيــون القصــائد فى شــتى الاغراض السياسية والاجتماعية ، وتلقى قصائده من الجمهــور فى مصر وغيرها الاعجاب والتقدير . ثم وقعت الحرب العظمى وتغــيروجه الحالة الســياسية فى مصر وكان حظه من هذا التغيــير أن نفى الى الخــارج ، وقضى من حياته فى المنفى نحو خمســة أعوام لم ينس فيها وطنه واهله فخلد له ولهم وللتاريخ العربى اثارة من شــعره لا تمحى عــلى ذكر الدهور .

فلما وضعت الحرب أوزارها عاد شوقى فيمن عادوا الى الوطن ونحا منذ ذلك الــحين بالشعــر والادب منحى جديدا غير ما كان ماضيا فيه بنفس الهمة والشغف اللذين كان يحسهما فى صــباه وشبيبته ، ومازال يعمل لهمــا حتى اللحظة الاخيرة من حياته

شوقى مرآة عصره

اذا كان استاندال قد عرف الرومانتيكى بأنه من تجاوبت منتجاته مع أحاسيس أمته ، وكانت لوحة لآلامها وأناتها ، وصدى لآمالها ورغباتها ، وبالاجمال كانت مرآة للعصر كله ، فان شوقى كان خير من يصدق عليه هذا التعريف فى مصر ابان نهضتها الحديثة .

تعقب شوقى احداث هذه النهضة وسجل خطوطها الرئيسية وخلد فى شعره كثيرا من معالمها ومميزاتها ، وضرب للشعراء أقوى الامثلة وأصدقها فى المساهمة الفعالة فى كل ما لم بأمته من أفاعيل القدر وأفانين الزمان ، ولم يكن يكتفى فى ذلك كله بموقف الرسم والتصوير ، بل كان يشعر القارىء بأن مآسى مصر تجرحه فى قلبه ، وتحز فى نفسه ، وتصيبه فى عزته وكرامته . وما أبدع هذه اللوحة الحزينة التى صور عليها حادثة دنشواى التى لايمحوها مر الازمان ولا كر الدهور من قلوب المصريين مهما تعاقبت الاجيال دواليك أفرعا وأصولا . واليك هذه اللوحة :

يا دنشواى على رباك سلام ... ذهبت بأنس ربوعك الايام
شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا ... هيهات للشمل الشتيت نظام
مرت عليهم فى اللحود أهلة ... ومضى عليهم فى القيود العام
كيف الارامل فيك بعد رجالها ... وبأى حال اصبح الايتام
عشرون بيتا أقفرت وانتابها ... بعد البشاشة وحشة وظلام
ياليت شعرى فى البروج حمائم ... أم فى البروج منية وحمام
نيرون لو ادركت عهد كرومر ... لعرفت كيف تنفذ الاحكام
نوحى حمائم دنشواى وروعى ... شعبا بوادى النيل ليس ينام
ان نامت الاحياء حالت بينه ... سحرا وبين فراشه الاحلام
متوجع يتمثل اليوم الذى ... ضجت لشدة هوله الاقدام
السوط يعمل والمشانق اربع ... متوحدات والجنود قيام
والمستشار الى الفظائع ناظر ... تدمى جلود حوله وعظام
فى كل ناحية وكل محلة ... جزعا من الملأ الاسيف زحام
وعلى وجوه الثاكلين كآبة ... وعلى وجوه الثاكلات رغام

يحدثنا التاريخ انه علـى اثر تلك الحملة القاسية المخلصة التى اضرم لهيبها ذلك الزعيـم النقى الوفى المغفور له مصطفى كامل على اللـورد كرومر بسبب حـادثة دنشـواى اسرعت السياسـة الانجليزية المفعمة باللؤم والمـكر الى سحب عميدها تنفيذا لمبادئها اللولبية التى تتظاهر بالتقهقـر ارضاء للسذج من بسطاء العقول ريثما يخمد اللهب ثم تعود سيرتها الاولى افدح ممـا كانت لتيئس فريقا ، وتطمع آخر ، وترهب قوما وتحير آخرين .

وقبل ان يغادر كرومر وادى النيل لم يعدم شرذمة من المتملقين تقيم له حفلة وداع تظهر فيهـا ولاءها للمحتل ، وفى كـل زمان وكل مكان يوجد السفلة المارقون، والخونة الغـادرون الذين ماتت ضمائرهم وفقدوا كل معالم العزة والكرامة .

ولما لم تكن انجلترا بغافلة عن تقدير هؤلاء واولئك ، ووضعهم فى الدرك الاسفل الذى يليق بهم ، فقد عنى كرومر فى حفلة الوداع بان يصوب الى قلوب هذا النفرـ ان كان لهم قلوب ـ اشـد السهام تسمما ، والى كراماتهم ـ استغفر الله ، فليس لهـم من الكرامة ادنى حظ ـ احط انواع الاهانة والاذلال ، بل لقـد وجه الاساءة حتى الى شخصية الخديوى اسماعيل أمام نجله الامير حسين كامل ، وكان من شهود هذه الحفلة التاريخيـة المخجلة التى ستبقى عارا خالدا فى جبـاه كل من سـاهموا فيها من قريب أو من بعيـد . وقد أرسل المغفـور له شوقى بك قلمه فى تصوير شعور الامة بازاء زوال كرومر من أرضها، وفى تخليد مسبة ذلك الفـريق الغادر الرعديد فقـال طيب الله ثراه :

لما رحلت عن البلاد تشهدت	فكأنك الداء العياء رحيـلا
اوسـعتنا يوم الوداع اهانة	ادب لعمرك لايصيب مثيـلا
فى ملعب للمضحكات مشـيد	مثلت فيه المبكيات فصـولا
شهد (الحسين) عليه لعن اصوله	وتصدر (الاعمى) به تطفيلا
جبن اقل وحط من قدريهما	والمرء ان يجبن يعش مرذولا
لمـا ذكرت به البـلاد وأهلها	مثلت دور مماتهـا تمثيـلا
انذرتنـا رقا يـدوم وذلة	تبقى وحـالا لاترى تحـويلا
احسبت ان الله دونك قدرة	لايملـك التغيير والتبـديلا

الله يحكم فى الملوك ولـم تكن ... دول تنازعه القـوى لتـدولا
فرعون قبلك كان اعظم سطوة ... واعز بين العـالمين قبيـلا
اليوم أخلفت الوعود حكومة ... كنا نظن عهودها الانجيـلا
دخلت على حكم الوداد وشرعه ... مصرا فكانت كالسلال دخولا
هدمت معالمها ودكت ركنهـا ... واضاعت استقلالها المأمولا
قالوا: جلبت لنا الرفاهة والغنى ... جحدوا الاله وصنعه والنيلا

جعل شوقى يسـاهم فى كل حدث من احداث البلاد بنصيب موفور من شعور عميق يسجله فى شعره ، واحســاس دقيق يصوره فى نثره ، وعاطفة وطنية يرسمها فى خرائده ، وخلق متين يخلده فى فرائده . وبالاجمال : طفق يرافق الروح القوميــة فى جميع مواقفها ويلبى دعاء النهضة على اختلاف هواتفها ، ولاسيما بعد ثورتها التحريرية التى اندلع اوارها فى سنة ١٩١٩ والتى كانت ستقتلع الاحتلال الانجليزى من اساسه لولا ان قضت عليهـا الانانية البغيضة ثم الحزبيــة المقيتة ، التى كانت بمثابة نكسة انتهت بوفاة المريض بعد ان ابل وظهرت عليه مخايل الصـحة والعافية .

ولم يكن شوقى بالشاعر الوجل المحتاط الذى يلمح للاحداث على

بنك مصر
شركة مساهمة مصرية
مؤسس الصناعات الكبرى وشركات مصر
مركزه الرئيسى ١٥١ شارع محمد بك فريد
يؤدى جميع اعمال البنوك
فرع الاسكندرية ١٩ شارع طلعت حرب باشا
للبنك فروع ومكاتب ومندوبين بأهم مدن القطر المصرى
وله مراسلون فى جميع انحاء العالم
قسم صندوق التوفير يشجع على الاقتصاد والادخار
قسم تاجير الخزن الحديدية - الايجار بشروط مناسبة

بعد ، او يلوح للوقائع فى حذر ، وانما كان يقــذف بنفســه فى معمعانها ، شاهرا قلمه كأشجع قواد الجيوش واعظمهم صلابة فى وقت الخطر ، ولم يكــن فى أى ظرف من الظروف الجديدة يقصر فى نصح او يقعد عن عظة صريحة يقدمها لمن بأيديهم الحل والعقد دون ان يهاب سلطانهم ، او يخشى طغيانهم . فمن ذلك مثلا انه عندما انتزع ثروت باشا من انجلترا مشروع ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، قامت حوله فى مصر ضــجتان : احداهما تتباهى بان هذا المشروع قد سما الى العلياء ، لانه اخــذ لا اعطاء ، ولانه قضى على الحماية البشعة الممقوتة ، ورفــع رئيس الدولة من ســلطان الى ملك ، واتاح لنا دستورا يكفل الحرية العامة ، ويضمن السلامة التامة الى غير ذلك من الشقشقة التى كان انصار حكومة هذا المشروع يتفيهقون بها ، مانين على الامة بهذا الزبد وذلك الهباء الذى ليس له ادنى قيمة فى نظر العقل السليم مادام الاحتلال يكتم انفاس البلاد

واما الضجة الاخرى فكانت حاقدة على المشروع ومن اتوا به ، ساخطة على جملته وتفصيله ، ناقمة من نصه وروحه ، ناعيــة على الفاظه ومعانيــــه ، مقذعة لمغــازيه ومراميه ، لا لا انه تافه ضئيل ملىء بالظواهر البراقة ، مصوغ فى العبارات المنمقة دون عمق او اشــتمال على ما يرضى رغبات الامة وينقع غلة البلاد ، ولكن لانه اتى على ايدى غيرهم ، ففوت عليهم الظفر بالتطبيــل والتزمير .

وهكذا جعــل الفريقــان يتراشقان بالسباب ، ويتبادلان انواع الهجاء المقذع ، والوان الاتهام المفزع ، كل ذلك والعدو جاثم على صــدر البلاد ، رابض لاولئك الاطفال بالمرصــاد ، يبتسم لتناحرهم ساخرا ، ويســعد بتقاتلهم مستهترا ، فروعت هذه الحالة الاسيفة امير الشــعراء ، فأحس بان هؤلاء جميعا فى حاجة الى نصيحة قاسية تردهــم الى الصواب ، وتلزمهم فى حــدود العقل والحكمة ، وتنــذرهم بان دعاواهم الطويلة العريضة ليس لها اقل قيمة فى ميزان التاريخ ، وانما هو وحده الحكم الذى ترضى حكومته ، وانه لن يعتمد فى حكمه على هذه التشدقات من جانب



انصار حكومة المشروع ، ولا على تلك الاراجيف من جانب خصومها السياسيين ، بل سيؤسس حكمه على نظرته الدقيقة الفاحصة التى لاتضل ولاتنخدع فأنشأ يقول :

ضموا الجهود وخلوها منكرة
لاتملئوا الشدق من تعريفها عجبا

أفى الوغى ورحى الهيجاء دائرة
تحصون من مات او تحصون ما سلبا

خلوا الاكاليل للتاريخ ان له
يدا تؤلفها درا ومخشلبا (١)

امر الرجال اليه لا الى نفر
من بينكم سبق الانباء والكتبا

املى عليه الهوى والحقد فاندفعت
يداه ترتجلان الماء واللهبا

اذا رايت الهوى فى امة حكما
فاحكم هنالك ان العقل قد ذهبا

قالوا الحماية زالت قلت لاعجب
بل كان باطلها فيكم هو العجبا

راس الحماية مقطوع فلا عدمت
كنانة الله حزما يقطع الذنبا

على نفس النحو الذى بدت عليه مصر فى مرآة شعر شوقى مرتدية ثيابها السياسية ، بدت كذلك فى هذه المرآة تختال فى حللها الاجتماعية المختلفة الصور والالوان ، المتباينة المناظر والمظاهر ، فأبرزها على مسرح الحياة تارة تفكر فى حل مشاكلها العويصة او تتأمل فى فتح مغالق معضلاتها المعقدة ، واخرى تحاول استكشاف غوامض الغازها المبهمة ، وحينا تهتف بانها قد عرفت اسرار السيادة والنجاح ، وهى محصورة فى التوسع فى العلم والتعمق فى المعرفة ، وطورا تسرع الخطا لتسير فى طليعة ركب الكون ومقدمة موكب الوجود . كل ذلك يراه الناظر فى منتجات شوقى بارزا ملموسا لايستعصى حتى على اوساط الناس وانصاف المثقفين منهم . وانظر اليه كيف يرافق مصر فى ذلك الطريق المحفوف بالاشواك الذى تسلكه الكنانة لتحرير المراة ولا تزال به حتى تعبده وتمهده . وامير الشعراء لها فى هذا الجهاد خير ناصر ومعين . فهو يبدا دعاءه لتحرير المراة براى الاسلام فيقرر ان نبى المسلمين قد اباح لنسائه وبناته

---

(١) المخشلب هو الخزف ، وهو يقابل فى التاريخ النتائج التافهة كما يقابل الدر الثمار النافعة .

ان يشتغلن بالاعمال الاقتصادية ويعنين بالنواحى السياسية والعلمية والفنية . مشيرا بالاولى الى السيدة خديجة . ملمحا بالثانية والثالثة الى السيدة عائشه . معلما فى الرابعة الى السيدة سكينة بنت الحسين . وتاريخ هؤلاء الفضليات فى الاقتصاد والعلوم السياسية والادب معروف مشهور . فاذا انتهى من ذلك هرع الى اسانيد اخرى تؤيد وجوب تحرير المراة ومساهمتها فى الشئون العامة . فبين كيف انها اشتغلت بالقضية المصرية فكانت فيها مثال الجد والنشاط . والمثابرة والثبات . وانها كلفت بالاشتراك فى المظاهرات والثورات . فاخذت منها بنصيب موفور . وانها عنيت بالبر والاحسان فكانت فيهما نموذجا يحتذى . ومثلا ينسج على منواله . وهاك مايقوله فى رسم هذه الصورة النسائية الفاتنة :

هذا رسول الله لم	ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة	لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسيا	سة والشئون الاخريات
ولقد علمت بناته	لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملا الـ	دنيا وتهزا بالرواة
روت الحديث وفسرت	آى الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تنـ	ـطق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالما	ت ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت امية	ام الجوارى النابغات
ورياض اندلس نميـ	ـن الهاتفات الشاعرات
ادعوا الرجال لينظروا	كيف اتحاد الغانيات
والنفع كيف اخذن فى	اسبابه متعاونات
لما راين ندى الرجا	ل تفاخرا او حب ذات
وراين عندهم الصنا	ئع والفنون مضيعات
والبر عند الاغنيا	ء من الشئون المهملات
اقبلن يبنين المآ	ثر للنجاح موفقات

* * *

للصـــالحات عقـــائل الـــوادى هوى فى الصالحات
اللـــــه انبتهـــن فـــى طـاعاته خـــير النبـات
فأتـــين اطيـــب مـــا اتى زهر المنـاقب والصـفات
الـم يكف ان احسن حتـــــى زدن حض المحسـنات
يمشـــين فى ســوق الثوا ب مســاومات رابحـات
يابســن ذل الســـــائلا ت وما ذكرن البائســـات
فوجـــــوههن وماؤهــا ســتر عـلى المتجمـلات
مصر تجـــدد مجـــدها بنـــائها المتجـــددات
النــــافرات مــن الجمــو د كأنه شـــبح المـــات
هــــل بينهن جوامــــدا فــرق وبين الموميــــات
لمـــا حضـــن لنـــا القضـــية كن خير الحـــاضنات
غـــذينها فى مهــــدها بلبـــانهن الطـــاهرات
وســبقن فيهــــا المعلميـــــن الى الكريهـة معلمات
ينفثن فى الفتيـــــان مـــن روح الشجاعة والثبـــات
يهـــوين تقبيـــل المهنـــــد او معـــانقة القنـــاة
ويرين حتـــى فى الـــكرى قبـــل الرجال محـرمات

وكما كان شـوقى صـــدى لاحاسيس امته فى مشكلة المراة كان رجعا امينا لصوتها الخالد الهاتف بالدعاء للعلم والتعليم • واعلن فى صراحة ووضـــوح ان مصر تســـير فى طريق الثقـــافة اصبعا كلما سارت الامم الاخرى ميلا • وان هـــذا الخمول فى التقدم • وذاك الركود فى الجهل ليس لهما سوى سبب واحـــد هو تعاليم دنلوب الذى جاء الى مصر ليفرض ارادته على نظمهـــا الثقافية بعد ان زود من ثعابين الاستعمار فى بلاده بأشأم التعاليم واسوا الخطط واردا المنـــاهج • واســـتحلفوه بـــكل عزيز لديه - وليس اعز عليه من مصلحـــة بلاده - ان يتخذ هـــذه العبـــارة ورده الدائم الذى يتعبد به صباح مساء • وهى ان اوثق العوامل لتثبيت قـــدم الاســـتعمار هـــو الجهـــل • فاذا انتهى من تلاوة هذا الورد حين يصبح بذل كل جهده فى تطبيقــــه لتبقى مصر رازحة تحت نير الاميـــة فيبقى استعمارهم البغيض ببقاء هـــذه

الحالة المشئومة على مصر . والهنيئة للانجليز ، ومصائب قوم عند قوم فوائد

ثم يأخذ شوقى بعد ذلك فى الحض على تعميم العلم مذكرا هؤلاء المفرطين فى حقوقهم الاساسية . والغافلين عن مفتاح سجنهم الوحيد وهو المعرفة الصحيحة . والثقافة الواسعة . لاذعا اياهم بوضع الموازنة بينهم وهم لايستطيعون ان يستقلوا بصنع ابرة وبين اجدادهم الذين رفعوا تلك الآثار الشامخة ونبغوا ونبغوا فى العلوم والفنون حتى كانوا قادة أهل الدنيا على الاطلاق .

وانظر ماذا يقول امير الشعراء فى تصوير ذلك كله من قصيدة « العلم والتعليم » :

كانت لنا قدم اليه خفيفة ... ورمت بدنلوب فكان الفيلا
حتى رأينا مصر تخطو اصبعا ... فى العلم ان مشت الممالك ميلا
تلك الكفور وحشوها أمية ... من عهد ((خوفو)) لم تر القنديلا
تجد الذين بنى ((المسلة)) جدهم ... لا يحسنون لابرة تشكيلا
ويدللون اذا أريد قيادهم ... كالبهم تأنس اذ ترى التدليلا
يتلو الرجال عليهمو شهواتهم ... فالناجحون ألذهم ترتيلا
الجهل لا تحيا عليه جماعة ... كيف الحياة على يدى عزريلا
والله لولا ألسن وقرائح ... دارت على فطن الشباب شمولا
وتعهدت من أربعين نفوسهم ... تغزو القنوط وتغرس التأميلا
عرفت مواضع جدبهم فتتابعت ... كالعين فيضا والغمام مسيلا
تسدى الجميل الى البلاد وتستحى ... من أن تكافأ بالثناء جميلا
ماكان دنلوب ولا تعليمه ... عند الشدائد يغنيان فتيلا

بمثل هذه العناية التى رأيناه يبذلها فى معالجة المشكلات التى مثلنا لها آنفا ، وبنفس الاخلاص للوطن والتفانى فى مصلحته قد ألم بكثير من جوانب الحياة الاجتماعية ، فحاول اصلاح مافسد ، وتقويم ما اعوج، وانارة ما أظلم ، ولم يقصر أدنى تقصير فى بذل النصح للمخطئين ، والغض من كبرياء المغرورين ، واهانة الخائنين الغادرين ، والتشهير بالمستعمرين الغاصبين، ورسم خطط المجد للشبان الاحداث ، وتذكيرهم بعظمة أجدادهم فى الاجداث ، وانبائهم بأن أسلافهم الماجدين ، قد سادوا

الدنيا قبل آلاف السنين ، ولم يكن ذلك من قبيل التباهى المأفون ، كما يتصور المتفيهقون، وانما هو من قبيل العظة البالغة، واثارة الحمية السامية، والتحمس الرفيع فى نفوس الابناء والاحفاد، باظهار جلال الآباء والاجداد ، ليضع الشبان نصب أعينهم دائما هذه الحكمة الخالدة :

نبنى كما كانت أوائلنا ... تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وفى الحق لقد أفاض شوقى بك فى هذا المعنى وأسهب ، وتفنن فى أساليبه فأنجب ، حتى بسط بين معاصريه من تاريخ أسلافهم العظماء صفحة مغرية ، ووضع أمام مواطنيه لاجدادهم صورة مغوية ، وأنطق آثارهم بأصوات علوية تدعو الابناء الى الشغف بالمجد والتلهف على الخلود . وليس الامر - كما زعم حساد شوقى وهم كثر - من باب التعلق بأذيال الموتى ونبش القبور ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ، فلقد عرف شوقى أنجع الوسائل لحفز الشباب ودفعه الى المجد بقوة لا تنفد ، وطاقة لا تتلاشى ، فهو اذ يتقن لهم تصوير عظمة أجدادهم كأنه يقول لهم بلسان فصيح : انكم لو قصرتم فى حقوق الوطن وقعدتم عن انهاضه والسمو به الى العلياء، ورضيتم حياة الذل والاستكانة، لكنتم غير جديرين بالانتساب الى أولئك الاماجد ، ولجلبتم لهم الخجل والعار ، وجنيتم على تاريخهم وسمعتهم جناية الفجار على الابرار . ولا ريب ان هذا المعنى يشوك الشباب ويجرح عزته ، ويستثير حميته ، ويستنهض همته . وانظر ماذا يقول فى قصيدة « توت عنخ أمون » :

فكانوا الشهب حين الارض ليل ... وحين الناس جد مضللينا
مشت بمنارهم فى الارض (روما) ... ومن أنوارهم قبست (أثينا)
ملوك الدهر بالوادى أقاموا ... على (وادى الملوك) محجبينا
فرب مصفد منهم وكانت ... تساق له الملوك مصفدينا
تقيد فى التراب بغير قيد ... وحل على جوانبه رهينا
تعالى الله كان السحر فيهم ... أليسوا للحجارة منطقينا
غدوا يبنون مايبقى وراحوا ... وراء الآبدات مخلدينا
اذا عمدوا لمأثرة أعدوا ... لها الاتقان والخلق المتينا

وليس الخلد مرتبة تلقى — وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار — اذا ذهبت مصادرها بقينا
وسر العبقرية حين يسرى — فينتظم الصنائع والفنونا
وآثار الرجال اذا تناهت — الى التاريخ خير الحاكمينا

وفى هذه القصيدة عينها يسجل امير الشعراء ماشاع اذ ذاك وتحدثت به العامة والخاصة من ان الانجليز قد سرقوا من كنوز

اعلان

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى وسط الدلتا بطنطا عن الاعمال الموضحة بعد فى المواعيد المذكورة أمام كل منها وهى :

١ ـ لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم السبت ١٩٥٣/٧/٢٥ عن عملية انشاء شبكة المصارف المغطاة بمنطقة بروى بمديرية المنوفية

٢ ـ لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الثلاثاء ١٩٥٣/٧/٢٨ عن عملية انشاء شبكة المصارف المغطاة بمنطقة سنتريس بمديرية المنوفيه

٣ ـ لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الخميس ١٩٥٣/٧/٣٠ عن عملية انشاء شبكة المصارف المغطاة بمنطقة منوف الاعلى بمديرية المنوفية

ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات الخاصة بهذه الاعمال من مكتب التفتيش المذكور بطنطا بتقديم طلب على ورقة تمغة من فئة الخمسين مليما عن كل عملية على حده نظير دفع مبلغ ٧٥٠ مليما (سبعمائة وخمسون مليما) بخلاف ١٥٠ (مائة وخمسون مليما) أجرة البريد لكل عملية وعلى المقاولين الاطلاع على الرسومات الخاصة بهذه الاعمال بمكتب التفتيش بطنطا فى أوقات العمل الرسمية

وكل عطاء غير مصحوب بتأمين مؤقت كامل قدره ٢ ٪ (اثنان فى المائة) من قيمة العطاء لايلتفت اليه اطلاقا

٤٨٧٧

توت عنخ امون احجارا ثمينة ،وتماثيل نفيسة وحليا لا تقدر بثمن ، فأراد شوقى ان يخلدهذهاللصوصية الانجليزية بأبشع مظاهرها لانها خيانة لاموات قدائتمنوا عليهم ، وكانت الصحف والبرقيات قبل ذلك الحين قدنشرت ان الانجليز قد خطفوا خليفة تركيا واخفوه فى مكان حصين ، فاتخذ شوقى هذا الحادث دليلا على سرقة الانجليزللآثار المصرية فقال مخاطبا رئيس الحفريات :

سبيل الخلد كان عليك سهلا   وعادته تكد السالكينا
رأيت تنكرا وسمعت عتبا   فعذرا للغضاب المحنقينا
ابوتنا واعظمهم تراث   نحاذر ان يئول لآخرينا
ونأبى ان يحل عليه ضيم   ويذهب نهبة للناهبينا
سكت فحام حولك كل ظن   ولو صرحت لم تثر الظنونا
يقول الناس فى سر وجهر   ومالك حيلة فى المرجفينا
أمن سرق الخليفة وهو حى   يعف عن الملوك مكفنينا ؟

وابدع من هذا كله ان شوقى لم يفته - فى ذلك الحين الذى لم يكن الوعى فيه قد استيقظ بعد - ان يسجل شعور الامة بازاء حكم الفرد ، ودعوتها لحريتها ،وتمسكها بحقوقها الطبيعية التى أولها ان الامة هى مصدر السلطات،وان رئيس الدولة يجب ان ينزل عند ارادة الشعب ، وان لا يحاول ان يتجبر او يتغطرس ، فان زمن الطغيان قد فات ، ونظام الحكم المطلق قد ولى الى غير رجعة ، وان الملك فؤادا - رغم خضوع سلطانه ، واحتلال بلاده - اعظم من فرعون على جلاله وعزه وامتلاكه ناصية الشرق ، ولكن لاتحسب ان هذا كان من جانب شوقى ملقا للملك او تزلفا اليه كما يخطر بالبال للوهله الاولى، كلابل كان ذلك التصريح عند الذين يعقلون مشتملا على اهانة مصوغة فى انذار اذا لم يسجل له ميزة ذاتية على فرعون ، وانما هى ميزة ناشئة من سببين خارجين عن ذات الملك : اولهما الاسلام ،وثانيهما الدستور الذى يحول بينه وبين الطغيان والجبروت . واليك هذه الحكم الخالدات :

زمان الفرد يا فرعون ولى   ودالت دولة المتجبرينا

واصبحت الرعاة بكل ارض — على حكم الرعية نازلينا
« فؤاد » اجل بالدستور ملكا — واشرف منك بالاسلام دينا

ولنقتصر على هذه العجالات التى اوردناها من ذلك الخضم الهائل من شعر شوقى المترامى الاطراف المتشعب النواحى ، المتسع الجنبات ، اذ لو حاولنا ان نتعقب من شعره ماتجاوب مع حاجات البلاد ، وكان صدى لصوت الامة ورجعا لندائها، وترديدا لدعائها ، ومساهمة فى كل ماتزاوله وتحاوله لاستنفد منا ذلك عدة مجلدات ، ونحن هنا فى موقف محدود ، ومقدار من الصفحات معدود ، فلنقف اذن عند هذا الحد من الشعر ، مارين مر السحاب بثمار النثر ، ملمعين منها الى ما ساير القريض فى صورته ، وشابهه فى غايته ، فلم يوضع لتعليم الكتابة والتمرين على الانشاء ، وانما أرسل بغية الهدم والبناء ، والقدح والثناء ، شأنه شأن الشعر سواء بسواء ، فعرض فيه للدين وقداسته ، والوطن وحرمته ، وأسباب هويه ورفعته ، وقناة السويس وأهميتها السياسية ، ونتائجها الاجتماعية ، وفوائدها الاقتصادية ، وكل ما يتعلق بالشئون العامة من قريب أو من بعيد، كالحقيقة والخير ، والثبات والصبر ، والطغيان والجور ، والجندى المجهول ، والحكام الذين يستذلون للمستعمرين ، ويتلذذون باذلال المواطنين ، ويمالئون الغاصبين ، ويعاهدونهم على ان يطلقوا أيديهم فى مرافق البلاد ، مقابل منحهم سلطة الاستبداد ، وحرية التصرف فى حقوق الافراد . ويشبه حكام هذا النوع بالخيل التى تسرج وتركب وان كانت لجمها من ذهب ، وقيودها من فضة ، وما ابدع تصويره لذكريات منفاه التى اشتملت على وصفه قناة السويس وما مر بوضعها من أحداث وتقلبات ، وما بيت فى شأنها من نيات ومحاولات ، وما اختبأ تحتها من أغراض وغايات . ولا يفوته فى هذه الذكريات أن يسجل تصرفات أولئك الحكام المتلمقين الذين نفوه بأمر سادتهم المستعمرين . وهو فى هذا يقول :

«تلكما يا ابنى القناة ، لقومكما فيها حياة ، طريق التجارة ، والوسيلة والمنارة ، ومشروع الحضارة .

تعبرانها اليوم على مزجاة كأنها فلك النجاة ، خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطغيان الكوارث ، تفارق برا مغتصبه مضرى الغضبة ، قد أخذ الاهبة ، واستجمع كالاسد للوثبة ....

ان للنفى لروعة ، وان للنأى للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ، حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وان لم ينسجم ، نفاناحكام عجم ، وأعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون فى أرسان يسمونها الحكم .

ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا ان يرفعوه أو يضعوه ، سامحهم فى حقوق الافراد ، وسامحوه فى حقوق البلاد ، وما ذنب السيف اذا لم يستح الجلاد .

ماذا تهمسان ؟ كأنى أسمعكما تقولان : أى شىء بداله ، على هذه الضاحية ؟ وماذا شجا خياله من هذه الناحية ؟ وأى حسن أو طيب ، لملح يتصبب فى كثيب ؟ ماء عكر ، فى رمل كدر ، قناة بحمئة ، كأنها قناة صدئة ، بل كأنها وعبريها رمال ، بعضها متماسك وبعضها منهال ، وكأن راكب البحر مصحر ، وكأن صاحب البر مبحر .

رويدكما ليس الكتاب بزينة جلده ، وليس السيف بحليه غمده ، تلك التنائف من تاريخكم صحائف ، وهذه القفار ، كتب منه وأسفار ، وهذا المجاز هو حقيقة السيادة ، ووثيقة الشقاء أو السعادة ، خيط الرقبة ، من اغتصبه اختص بالغلبة ، ووقف للاعقاب عقبة ، ولو سكت لنطقت العبر ، وأين العيان وأين الخبر ، أنظرا تريا على العبرين عبرة الايام : حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام ، جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بعرانه وعلينا أزواده ، ديك على غير جداره ، خلاله الجو فصاح ، وكلب فى غير داره ، انفرد وراء الدار بالنباح .

القناة وما أدراكما ما القناة ؟حظ البـلاد الاغبر ، من التقاء الابيض بالاحمر ، بيد أنها أحلام الاول ، وأمانى الممالك والدول ، الفراعنـة حاولوها ، والبطالسة زاولوها ، والقياصرة تناولوها ، والعرب لامر ما تجاهلوها ، الى أن جرى القدر لغـايته ، فانفتح البرزخ بعنايته ، والتقى البحران تحت رايته الى أن قال :

وليس احد اولى بالوطن من احد ، فما - باستور - والشفاء فى مصله ، ولا - كمال - والحياة فى نصـله أولى بأصـل الوطن وفصله ، من الاجير المحسن الى عياله ، الكاسب على اطفاله ، الفادى الوطن بأشباله ، وهم رأس ماله ، فلا تتحمد على الاوطان باثار كرم وان حملت عليها الهرم او نقلت اليها ارم ، فانك لم تزد على ان اقمت جدارك وحسنت دارك ، ولا تنس أنها الالة التى رفعتك والهالة التى اطلعتك ولا تحجب ذات الـوطن بذاتك او تطرف العيون عن وجهه بقذاتك

والوطن لايتم تمـامه ، ولا يخلص لاهله زمامه ، ولا يكون الدار المسـتقلة ، ولا الضـيعة الخالصة الغلة ، ولا يقال له البلد السيد المالك ، وان تحلى بالقاب الدول والممالك ، حتى يجيـل العلم فيه يد العمارة ، ويجمع له بين دولاب الصناعة وسـوق التجارة

فياجيل المستقبل ، وقبيل الغد المؤمل ، حاربوا الامية فانها كسح الامم وسرطانها والثغرة التى تؤتى منها أوطانها ، ظلمات يعربد فيها خفاش الاستبداد وقبور كل مافيها لضبعه غنيمة وزاد ، وتذرعوا بذرائع العلم الصحيح ، اطلبوه فى مدارس الزمان وحلقاته وخذوه عن جهابذته وثقـاته ، واعلموا ان انصاف الجهـال لا الجهل دفعوا ، ولا بقليل العلم انتفعوا ، وبنوا الوطن الواحد اخوة وان ذهب كل فـريق بكتاب ، ووصلت كل طائفة من باب ، واتبع اناس الانجيل واناس اتبعوا التنزيل .

المنفلوطى

نسبه وحياته :

ولد السيد مصطفى بن محمدبن محمد بن حسن بن محمد بن لطفى فى مدينة منفلوط من مدن الوجه القبلى فى جنوب مصر سنة ١٨٧٦ ميلادية الموافقة لسنة ١٢٩٣ هجرية من ابوين كريمين ينتهى نسب أولهما الى الحسين ابن على بن أبى طالب ، وثانيهما الى أسرة تركية معروفة بالشرف العظيم والمجد المؤثل ، وأسرته لابيه فى مدينة منفلوط اسرة مشهورة بالشرف والتقوى والعلم .. وكثير من أفرادها قضاة شرعيون من نحو مائتى سنة .. ووالده السيد محمد لطفى قاضى منفلوط الشرعى ...

دراسته :

بعد ان حفظ القرآن الكريم فى المكتب كما هى العادة أرسله والده الى الازهر حسبما تقتضى تقاليد أسرته ، فما مرت به سنوات قلائل حتى عرف بين اقرانه بالذكاء والفطنة وسلامة الذوق فى الفهم ، ثم نزعت به نفسه الى مذهب فى التعليم غير المذهب الذى يذهب اليه الازهريون فى دراستهم ، فكان لا يطالع دروسه فى الكتب الازهرية الا على صورة تكفل له فهم جواهر المواضيع والتثبت من حقائقها غير حافل بما تشتمل عليه عادة من المناقشات اللفظية، والمنازعات القشرية ، فكان لهذه الخطة فى التعليم أعظم تأثير فى سلامة ذوقه ، وصفاء ذهنه ، وأصبح له متسع من الوقت ينفقه فى دراسته فى كتب الطبيعة والاخلاق والادب والحكمة حتى غلبت عليه تلك العلوم خصوصا

الادب منها ، وشغف بها عما سواها شغفا ملك عليه قلبه واستأثر بلبه ، فعلت مداركه ، وصقلت مرآة ذهنه، وهتف يترنم بالمقاطع الشعرية والجمل النثرية، وضمنها ما شاء الله ان يضمنها من عيون الشعر وأفانين القول فى الاخلاق والاداب ..

ثم لحق بعد ذلك بالمرحوم الشيخ محمد عبده والتصق به التصاق الولد بأبيه ، واكثر من مصاحبته له وملازمته اياه عشر سنين كاملة ، فكمل من عمله ، وأتم من أدبه ما كان غير ناضج وكان الاستاذ ـ رحمة الله عليه ـ يعجب به كل الاعجاب ، ويثنى على ذكائه وفطنته الثناء الجميل، ويعلل نفسه بأنه سيكون من أفضل المنتفعين بعلمه، والناشرين لمبادئه وتعاليمه ، وما زال هذا شأنه معه حتى لحق الشيخ ـ رحمه الله عليه ـ بربه، فحزن عليه حزنا شديدا حمله على هجر الازهر وسفره من القاهرة وانزوائه فى بلدته منفلوط برهة من الزمان كاد ينساه الناس فيها حتى طلعت طلائع رسائله المشهورة فى جريدة المؤيد سنة ١٩٠٨ فالتفت القارئون لها ، ثم زحفوا اليها ، ثم تزاحموا عليها تزاحم الابل الهيم على وردها ، فكانوا يعدون لها ايام الاسبوع يوما بعد يوم ، ويترقبون لرؤيتها ما يترقب الضال فى ظلمة الليل البهيم من الفجر الطالع، والظامىء فى المهمه القفر من الغيث الهامع، فكانت ترد عليه الرسائل العديدة عشرات ومئات من ادنى مصر الى أقصاها ، ومن منبع النيل الى مصبه ، ومن كافة الاقطار العربية متضمنة الاسئلة المختلفة فى الحوادث والوقائع والمسائل الاجتماعية والاخلاقية، فاصبحت الامة تعده منارها الذى تهتدى به فى ظلمات الشبهات ، وموئلها الذى تعتمد عليه فى حل المشكلات، ولا أظن ان الامة العربية شغفت ببيان كاتب ، وجمال أسلوبه ودقة مسلكه فى هذا العصر الاخير، شغفها برسائل المترجم له ، ولا أظن ان السبب فى ذلك الا انه قد فاجأهم من هذا الاسلوب

العربى الفصيح بما لا عهد لهم بمثله الا فى رسائل بلغاء الكتاب الادبية، ومراسلاتهم الخصوصية بعد ما تلوثت اقلام اكثر الكاتبين فى الصحف باللهجة الافرنجية تارة والصحافية تارة اخرى .

واشتغل المغفور له السيد مصطفى لطفى المنفلوطى بالسياسة فكان مثلا أعلى فى الاخلاص لامته، والوفاء لبلاده ، والتفانى فى التضحية وانكار الذات ، وأنتج أدبا كان فى طلائع نماذج العصر ، وروائع الفكر ، تناول به فى أمته كل شاردة وواردة ، وساير فيه بيئته هابطة صاعدة . ففى هبوطها يندبها ويرثيها ، وفى صعودها يؤيدها ويزكيها ، وفى بأسائها يعزيها ويواسيها ، وفى نعمائها ينبهها ولا يلهيها . وقد وقف قلمه على المطالبة بحريتها، وصوته على الهتاف بعظمتها ،وعقله على التفكير فى مصيرها ، ووسيلة خلاصها من نيرها ،وأعلن أقصى أنواع العداء لاعدائها، واستحفز للجهاد همم أبنائها ،ودعاهم الى اقوم السبل للقضاء على الاستعمار ، وهى أن يمقتوا الغاصبين الفجار ، ويناوئوهم اناء الليل واطراف النهار ، وان يتربصوا بهم الدوائر فى الغدو والآصال ، ويقفوا منهم بالمرصاد فى جميع الاحوال ، وأن يقاطعوا كل ماله صلة بالانجليز ، ويجعلوا حدا محرما يفصم كل عروة بين النيل والتاميز ، من كل ما نشط المستعمرون فى تثبيته وتأييده ، وعمل صنائعهم من المصريين على تأييده وتخليده ، فكان من أوائل الداعين الى المقاطعة السلبية التى تتناول جميع الحياة العملية اذ يقول مخاطبا الانجليز :

« نقسم لكم بالله لقد جعلتمونا نرتاب فيكم ، وفى كل ما تطلع عليه شمسكم ، وتفىء عليه ظلالكم ، وفى الريح التى تهب من أرضكم ، والماء الذى ينحدر من بحركم ، بل وفى العلم الذى تشتمل عليه كتبكم ، والمحور الذى تدور عليه مدنيتكم ، ولقد

مرت بنا أيام كنا لا نتمنى على الله فيها شيئا سوى أن نصل في المدنية الى الذروة التى وصلتم اليها ، فقد أصبحنا ولا أبغض الينا من التشبه بكم ، والتخلق بأخلاقكم ، والسير على آثاركم ، مخافة ان تصبح مدنيتنا فى مستقبل ايامها مدنية وحشية لا عهد فيها ولا ذمام .

سنأكل الشيخ والقيصوم أن عز الطعام الا من أيديكم ، ونلبس الجلود والفراء ان أقفرت الارض الا من مصانعكم ، ونشرب الملح الاجاج ان أبى العذب الزلال أن ينبع الا فى ارضكم ، ونعيش فى الظلمة الداجية ان أبت الشمس ان تشرق الا من آفاقكم ، وسنخلع عن أرضنا ثوب الخصوبة والجمال ونلبسها ثوب القحط والجدب لنقطع سبيل مطامعكم فيها ، ونكدر عليكم صفاء العيش بين ظلالها وأموالها ، غير شاكين ولا متبرمين ، فلا خير فى نعمة يكدرها الذل ، وبعدا لماء لا يشربه الا ممزوجا بدم (١)

ولما عرضت السياسة الانجليزية الماكرة مشروع ملنر على مصر ونادت صحفها حسب طبيعتها التى لا تعرف اسلوبا غير أسلوب التضليل والتمويه بأن بريطانيا على استعداد لعقد حلف مع مصر تسبقه مفاوضة حرة ، ويعقبه الجلاء الذى يدخل فى دوائر الامكان . هب جماعة من المخدوعين فى مصر يؤيدون حلول الوئام محل الخصام ، مادام أنهم سيحصلون على أمنيتهم ، ويظفرون بحريتهم ، وفات هؤلاء السذج انهم امام دهاقين تحار الثعالب فى مكرهم ، وأساطين تعجز الثعابين عن التطاول الى غدرهم ، وشياطين تصرخ الجحيم من ثوائهم فيها ، وأبالسة تستغيث الرذيلة من خبثهم ونفاقهم ، وأنهم سيفاوضون شيوخا محنكين أتقنوا طرق

(١) أنظر صفحتى ٢٦٧ و ٢٦٨ من الجزء الثالث من « النظرات » طبعة ثالثه

الدس ، وأجادوا افانين اللؤم ، ونبغوا فى اساليب الحيلة ، وبلغوا أوج التلاعب بالالفاظ الى حد انهم يصوغون المعاهدات معتمدين على اداة تعريف او تنكير ، وعلامة تأنيث أو تذكير ، واسم اشارة ، أو تعميم عبارة ، لكى يهدموا — فى المستقبل — ما بنوا ، وينقضوا ما أبرموا ، ويحلوا ما عقدوا . واذا احتج عليهم حليفهم المفتون ، رفعوا أصواتهم بأنه هو المتجنى المعتدى ، وصاحوا فى منطق ظاهرى قائلين :. هيا بنا الى نصوص المعاهدة فهى الحكم الذى ترضى حكومته ، والمرجع الذى لا ترد كلمته . وحينئذ يتبين ذلك الغر المأفون ان موقفه يشبه موقف الايتام عند موائد اللئام ، يطلبون حقوقا فلا يمنحون ويتسولون كفافا فلا يرحمون ، فينتبه هذا الحليف وقد خسر كل شيء حتى الحق فى مطالبة الغاصبين بالنزوح عن بلاده ، لانه هو الذى قدم اليهم الصك باستعباده ، ولهذا يقال فى المثل السائر : غلطة الطبيب نازلة فردية ، وكبوة السياسى مصيبة قومية .

هكذا يكون موقف كل من يعقد مع الانجليز حلفا او معاهدة ، والى هذا تنبه السيد المنفلوطى منذ نيف وثلاثين عاما ، فنصح لمواطنيه الا ينزلقوا فى هذا الممر الضيق الوعر الملتوى المفعم بالاشواك ، والا يتعاقدوا مع اولئك الذين اتخذوا الكذب تجارة ، والزيف حرفة ، والخداع مهنة ، ونصبوا خطا من النار بينهم وبين الشرف والفضيلة وأعلنوا خصومتهم للنبل ، وعداءهم للخلق القويم ، والذين قال ملنرهم : ان لدينا للشعوب المستعمرة الفاظا خاصة بهم نثبتها فى معاهدات نبرمها معهم تسكتهم ولا تمنحهم شيئا . وفى هذا يقول المرحوم المنفلوطى مخاطبا مواطنيه :

« تعالوا الينا لنسعد معا ان قدرت لنا السعادة فى مستقبل حياتنا ، او نشقى معا ان كانت الاخرى ، بل لنعيش سعداء

فى كلتا الحالتين ، فلا سعادة فى الدنيا غير سعادة الحب والسلام، ولا شقاء غير شــقاء الانقسام والانشقاق .

اننا لانتهمكم بخيانة ولا ممالاة لان الدم المصرى لا يحمــل بين كراته كرة اللؤم والغدر ، ولكننا نعتقــد انكم مخـــدوعون وانكم ماأوتيتم من ناحية الخيانة والممالاة بل من ناحية السذاجة والبساطة وضعف القلب وغــرارة النفس ،والثقة العمياء بوعود اولئك القوم الذين ما صدقوا فى وعـــد من وعودهم مرة واحدة ، ولا عجزوا عن ان يجدوا من يصدقهم فى كل مرة يكذبون فيها ، فالوعـــود سلعتهم التى يتجـــرون فيها ،والخلف ربحهــم الذى يربحــونه منها .

ولو أنكم ترويتم فى الامر قليلا ونظرتم الى المســألة بعيونكم لا بعيونهم لعلمتم ان لااستقلال ولاشبه اســتقلال ، ولا شيء مما يعدوننا به ويمنوننا ، وكل ما فى الامر انهم يريدون وضع الحماية

الى المصابين بالبول السكرى
الشاى الطبى
انتديابيت آش
ANTI-DIABETE "H"
يعمل منه منقوع ديؤخذ كأى شاى عادى بواقع ستة ملاعق كبيرة فى اليوم
اكيد الفائدة - عديم الضرر لايحتوى على اية مادة كيماوية . ولا اى عنصر سام .. ستة اسابيع من العلاج بهذا الشاى الطبى تأتى بأحسن النتائج
يوجد فى جميع مخازن الأدوية والصيدليات
انتديابيت آش
ANTI-DIABETE "H"
ANTI-DIABETE H
MODE D'EMPLOI

الرومانية موضع الحماية الانكليزية ، وهى التى كان يبسطها الرومان فى تاريخهم القديم على الامم الضعيفة باسم المحالفة والمعاهدة ؛ أى انهم يريدون ان نصدق لهم على الحماية التى بسطوها علينا فى سنة ١٩١٤ بعد أن عجزوا عن ذلك سبعة أعوام ، ونحن لا نريد ان يكون حظنا معهم حظ ذلك الرجل الذى انتزع منه بعض المغتصبين آنية فضية فذهب اليه ليستردها منه وهدده برفع أمره الى الشرطة ان لم يفعل ، فقال له لا أعطيك اياها حتى تكتب لى صكا بأن الانية هدية منك الى حتى آمن غدرك بى فيما بعد ، فكتب له الصك الذى أراد وأعطاه اياه ، فاحتفظ بالصك ولم يعطه الآنية (١)

ولما أعيت الانجليز الحيلة فى تلك المرة وسقط فى ايديهم ما حاولوه من خداع وغش وتمويه ؛ وعرفوا ان الملاينة الثعبانيه مع مصر سلاح مفلول وأسلوب مملول ، هرعوا الى ابراز القوة وابداء التهديد ، وملأوا أشداقهم بالانذار والوعيد ، وتظاهروا فى طرقات العاصمة بجيشهم المديد ؛ وعتادهم الفريد وكانت الدنيا بأسرها فى ذلك الحين مقتنعة بان اسطولهم هو عملاق جبار ، له السيادة والعمادة على جميع البحار ، ولكن المنفلوطى لم يكترث لهذه الظواهر الكاذبة ، ولم يعبأ بتلك المظاهر الخالبة ، وجابههم بأن مصر بحقها أقوى منهم فى باطلهم ، وأن ايمانها بعدالة مطالبها ، وعقيدتها فى ظفرها باستقلالها ، وثقتها بنفسها ، ستتغلب على حديدهم ونارهم ، وهو فى هذا يوجه اليهم الخطاب فيقول :

« نعم انكم أقوياء جدا ، بل لا توجد قوة فى العالم توازى قوتكم ، ولكننا على ضعفنا وخلو أيدينا من السلاح والعدة أقوى منكم ، —

(١) انظر صفحتى ٢٠٥ و ٢٠٦ من الجزء الثالث من «النظرات» طبعة ثالثة .

لانكم حاربتمونا بسلاح الخديعة والمكر الذى ألفتم ان تنتصروا به على الشعوب الشرقية قرونا عدة، فانهزمتم أمامنا ، واستطاع هذا الشعب الشرقى الصغير حديث العهد بالسياسة وأساليبها والاعيبها ومناوراتها ان يدرك خبايا مقاصدكم ومراميكم ، وان يمزق عن وجوهكم ذلك الستر الكثيف الذى كان يجللها ، وان يقول لكم بصوته العالى المرتفع : لا أقبل الخدع والالاعيب ، فاما الاستقلال تاما صريحا لا ريبة فيه أو لا شىء .

اننا أقوى منكم لانكم لم تستطيعوا ان تخدعونا عن انفسنا، ولا ان تستنزلونا عن عقيدتنا ويقيننا . أما تلك القوة الميكانيكية التى تهرعون بها فى شوارع البلاد وأزقتها ، وتملأون بها وجه الارض وجو السماء ، فهى مما لا يفخر به الفاخر ولا يدل بل المدل لانها شىء ، والصفات النفسية والمزايا العقلية شىء آخر ...

اذن أنتم ضعفاء ونحن اقوياء، ولنا ان نفخر بهذه القوة التى نعتمد فيها على شرف اخلاقنا . وعزة نفوسنا ، ومتانة عقيدتنا ، وشدة اخلاصنا لوطننا ، وليس لكم ان تفخروا بتلك القوة التى تعتمدون فيها على السيف والنار » (١)

ولم يقف المنفلوطى قلمه على مهاجمة الانجليز واختصاصهم بحملته الشعواء ، وابانة دسائسهم فى صفوف الامة وكشف مؤامراتهم بمصلحة البلاد وانما عرف منذ فجر الحركة الوطنية أن لهم بيننا أذنابا هم صنائع أيديهم ، وثمار غرسهم ، وأن هؤلاء هم أخطر على البلاد من دهاة السياسة وثعالبها ، لان مكر أولئك الثعالب كان سيبقى قاحلا سلبيا لولا هؤلاء الاذناب الذين يتعهدونه فى مصر حتى يترعرع وينمو ويثمر أردأ الثمار وأشدها شرا وسوءا . وفى الحق أنه لولا وجود هؤلاء لما استطاع الانجليز أن يؤلفوا وزارات يتخذونها مطية لتنفيذ أغراضهم

---

(١) أنظر صفحتى ٢٥٩ و ٢٦٠ من الجزء الثالث من «النظرات» طبعة ثالثة

وايصال سهام كيدهم المسممة الى قلب الامة ، ولولاهم لما وجدوا من يحملونه مسئولية مايفعلون على أيدى حكومات مصر المتعاقبة ، ولولا أولئك الاذناب لما وجد الانجليز قضاة يحكمون على أهل دنشواى أو يدينون الشباب الناهض الذى كان يغامر مخاطرا بحياته فى سبيل تحرير أمته ، ولما جرؤ الانجليز على أن ينفوا زعيما أو يهددوا ملكا .

وعلى جملة من القول : لولاهم لشلت حركة الانجليز فى مصر وفشلت مقاصدهم ، وأسقط فى أيديهم ، وجلوا عن البلاد منذ زمن بعيد .

ولقد اعتبر السيد المنفلوطى الكتاب الذين يؤيدون الاحزاب الممالئة لسياسة الاستعمار ضمن أولئك الاذناب الغادرين فسردهم فيما سرد من أعوان الانجليز وعمالهم الذين يكيدون للوطن ويدسون للبلاد . وما أبدع تصويره لحشد هذه القوى الانجليزية أو المتجلنزة لمقاومة شعور الامة وتغلبها عليهم جميعا وخروجها من المعركة ظافرة منتصرة اذ يقول :

« الآن أمنت على مصر أبد الدهر ، وأيقنت أن الباطل ظل زائل لا ثبات له ، وان الحق صخرة عاتية لا تزعزعها العواصف ولا تعبث بها عاديات الايام .

فقد مرت فى غضون الاشهر الفائتة ساعات أعترف أنى خفت فيها على الحق أن يغتاله الباطل ويصرعه عندما أشرفت على ذلك الميدان الواسع الفسيح - ميدان المعركة السياسية المصرية - ورأيت ذلك الجيش اللجب العرمرم جيش الباطل زاحفا بخيله ورجله وفى مقدمته القوة الانجليزية بمدافعها وطياراتها وصواعقها ورجومها ، وفى مؤخرته القوة المصرية ببنادقها وسيوفها وسياطها وعصيها ، وفى جناحيه الوزارة يحيط بها أنصارها وصنائعها وذوو الحاجة اليها .. وفيما بين هذا وذلك الكتاب الكاذبون ، والخطباء الخادعون ، والدعاة الخبثاء ، والجواسيس





الدهاة ، والاحكام العــرفية ، والمجالس العسكرية ، والقوانين الاستثنائيه والاكاذيب والاراجيف والصور والتهاويل ، وكل مايمكن أن يسمى قوة يهجم بهـا هاجم على خصمه ليسلبه فى آن واحد قوة جسمه ، وقوة قلبـه ، وقوة يقينه ، وقد ذهبت لذلك الجيش فى آفاق السماء جلجلة كجلجلة الرعد القاصف ، وانتشر له فى جميع الانحـــاء بريق يخطف الابصار ، ويعشى الانظار » (١)

لم يحصر السـيد المنفلوطى جهد قلمه فى رسم أولئك الاذناب الذين شايعوا أعـداء الامة عـلى اغتصاب حقهـا ، وناصروهم فى العدوان على كرامتها ، وانمـــا تحدى سادتهم المستعمرين وقذف فى وجوههم بأنهم يستطيعون أن يصبغوا وجه مصر بالدماء ويملأوا بطن أرضها بالاشـلاء ، ولكنهم عاجزون أشـــد العجز عن أن ينتزعـوا من نفوســهم ايمانهم بحقهم ، وعقيـدتهم فى شرعيـة مطالبهم ، وانهم لن يسـتطيعوا أن يحـولوهم قيـــد أنملة عمـا يريدون أو يغـيروا وزن خـردلة مما يبتغون ، وان فى وسعهم أن يتبـاهوا باســتعمال القوة فى الوصول الى غاياتهم ، واتخـاذ القمع وسيلة لتحقيق أغراضهم ، ولكنهم لا يقدرون على دعوى حل المشكلة المصرية بطـريقة شرعية ترضى الحق وتقنـــع العـــدالة والانصاف ، وهو فى صوغ هذا التحدى يقول :

« فى استطاعتكم أن تصبغوا وجه مصر بالدماء ، وأن تملأوا بطنها بالاشلاء ، ولكن ليس فى اســـتطاعتكم أن تتقوا نظرات الاحتقار والازدراء التى نلقيهـــا عليكم حين نراكم ، ولا أن تطفئوا نار الحقد والموجـدة التى تنبعث من ألسنتنا وصدورنا الى وجوهكم ولا أن تنالوا منالا من تلك العقيدة الراسخة فى قلوبنا ، وهى أنكم أضعف الضعفاء وان كنتم أقوى الاقوياء ، وأن هــذه القوة التى تعتمـدون عليهـا وتدلون بهـا ليست قوة السياسة ، ولا قـوة الفكرة ، ولا قوة التدبير ، وانما هى قوة الشر والغضب .

---

(١) ص ٢٥٥ و ٢٥٦ من الجزء الثالث طبعة ثالثة

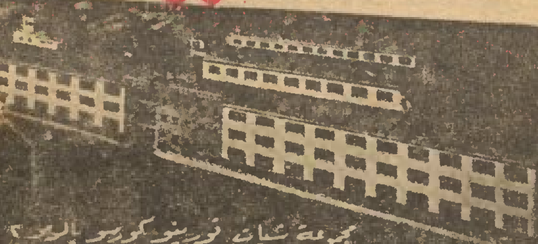
اقتلونا ولكن بأيديكم لا بأيدينا ، ألغوا الوزارة ولكن من رجالكم لا من رجالنا ، املكوا علينا كل شيء الا قلوبنا وأفئدتنا احكمونا باسم الاحكام العرفية والاساليب العسكرية ، لا باسم القوانين الشرعية والاحكام السماوية والارضية ، افتخروا بأنكم قمعتم الحركة المصرية ، وأنكم أخفتم الناس وأرهبتوهم ، ولكن لا تفخروا بأنكم حللتم مشكلة مصر الى الابد .

انكم لا تحاربوننا من أجل احتلال البلاد فأنتم محتلوها ، ولا من أجل الاستيلاء على مواردها وأرزاقها فهى جميعا تحت سلطتكم وسيطرتكم ، ولا من أجل اطفاء الثورة وقمعها ، فالامة التى لاسلاح لها لا ثورة فيها ، ولكنكم تحاربوننا من أجل ارغامنا على الاعتراف بمركزكم الشرعى فى مصر ، وما دمتم لم تصلوا الى هذه الغاية بعد بذلكم ما وهبكم الله من دهاء سياسى ، وحيلة عقلية فى هذا السبيل ، فنحن المنتصرون وأنتم المنخذلون » (١)

هذا هو نموذج لما سمح به المجال من أدب ثورتى سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩١٩ وما أعقبهما من أحداث سياسية استثارت أحاسيس الشعراء والكتاب، وهو فى الوقت ذاته نموذج للرومانتيكية المصرية التى تجاوبت مع حاجات أمتها وكانت مرآة لميول عصرها ...ات بيئتها على نفس النحو الذى عرف به استاندال ...ه فى أوروبا .

(١) أنظر ص ٢٦١ و٢٦٢ من الجزء الثالث من النظرات طبعة ثالثة





الوكلاء العموميون
جايس وشركاه
القاهرة : ٢٥ شارع توفيق
الإسكندرية : ٣٠ شارع طلعت حرب

ظرات
ان تطفئوا
نا الى و